الفصل السادس

رؤية جديدة للمسلمين والغرب

دعيت فى يناير ٢٠٠٢ لإلقاء محاضرة فى الكنيسة المشيخية فى جرينويتش بولاية كونيكتيكت. وبعد ساعة ونصف من الأسئلة والأجوبة، وقفت امرأة بديعة وسألتنى قائلة: «كيف تستطيع امرأة مسيحية مثلى المساعدة؟». لم يكن جمهور الحاضرين من الأمريكيين اليهود أيضًا راضين عن وضع العلاقة بين الطوائف الدينية المسلمة واليهودية، وسألونى بإلحاح عما يمكنهم فعله للمساعدة فى تغيير هذا الوضع. وكان أكثر الأسئلة شيوعًا واتسامًا بالتحدى من بين التى طرحت علىّ منذ أحداث ١١ سبتمبر ـ فى الكنائس والكنيسات اليهودية والشركات التجارية ـ هو: «ماذا يمكننا أن نفعل لإزالة التوتر بين المجتمعات الدينية المسلمة والمسيحية واليهودية وغيرها؟ كيف يمكننا أن نغير اتجاه هذه العلاقات بشكل فورى، والشروع فى معالجتها فى غضون سنوات وليس عقود؟

الرؤية «التى كانت مطلوبة فى الماضى»:

كيف نغير العقول ونكسب السلام؟

تأكدت ضرورة هذا السؤال فى تقرير صدر عام ٢٠٠٢ تحت عنوان «تغيير العقول وكسب السلام» عن المجموعة الاستشارية الأمريكية المعنية بالدبلوماسية العامة للعالم العربى والإسلامى، التى أسستها وزارة الخارجية الأمريكية، ويرأسها السفير إدوارد

جيرجيان لدراسة الحالة المحزنة للعلاقات العامة بين العالم الإسلامى والغرب على مستوى العالم. قالت المجموعة فى تقريرها: «إن العداء لأمريكا قد وصل لمستويات مفزعة»، وأضاف تقرير جيرجيان «أن المطلوب ليس مجرد التكييف التكتيكى لجهود الاتصالات الأمريكية، وإنما المطلوب هو تغير استراتيجى وجذرى»؛ ولا أعتقد أن هناك كلمات أوضح من تلك الكلمات لوصف هذه الضرورة الحاسمة.

تتطلب إعادة العافية إلى العلاقات بين العالم الإسلامى والغرب، فى إطار زمنى فورى، تنفيذ عملية سريعة التحرك متعددة المسارات لتتناول نطاقًا واسعًا من القضايا التى أوقدت الصراع، فنحن فى حاجة لرؤية تحدد أهداف سعينا وتخلق استراتيچيات موجهة نستطيع من خلالها بلوغ هذه الأهداف وتجميع القوى الفاعلة الأساسية القادرة على تنفيذها.

وهذه الرؤية هى: أنه يجب على أمريكا أن تبذل كل ما فى وسعها للمساعدة فى مناصرة قيام عالم إسلامى قوى واثق بذاته يستطيع أن يفى بمبادئ المجتمع الإسلامى الصالح كما فهمها النبى ﷺ وخلفاؤه الراشدون ـ ما أطلقنا عليه فى الفصل السابق مهمة العالم الإسلامى التى لم تكتمل ـ ويؤذن بدخول آخر مراحله أو «نهاية» التاريخ. ويتعين على الولايات المتحدة ـ بمساعدة المسلمين الأمريكيين ـ أن تدعم بنشاط تطوير الرأسمالية الديموقراطية الإسلامية التى تتناول أعمق ثلاث قضايا للصراع فى العالم الإسلامى وهى: الدين، والسيطرة على السلطة، وتوزيع الأصول الاقتصادية.

ولبلوغ هذه الغاية، أقدم أفكارًا عما يمكن للمواطنين العاديين ـ مثل رجال الأعمال والمعلمين المسيحيين والمسلمين ـ وأيضًا الحكومة الأمريكية أن يفعلوه لإعادة العافية إلى العلاقة بين العالم الإسلامى والغرب؛ فنحن نملك المهارات اللازمة لتنفيذ كل هذه الاستراتيچيات، كما أن هناك بعض المشروعات القائمة بالفعل، وكل ما ذكر هنا يمكن تنفيذه، لكن لكى ننجح سريعًا، فإن الاستراتيچيات المجملة هنا ستصبح أكثر فاعلية إذا تم تنفيذها على شكل شبكة تتعاون فيها جميع قطاعات المجتمع. إن جهودنا الآن يتعين أن تكون جهودًا مشتركة حقّا.

إن الحوار هو أولى الخطوات، فهو ضرورى للغاية، فبدونه لن يحدث أى تغيير آخر؛ فقد قام كثير من الأفكار التى سأعرضها فيما يلى على أساس الحوار، لأننا عندما

نحل الصداقة والتعاطف محل الخوف وسوء التفاهم، نصبح فى وضع يسمح لنا بمعرفة الخطوات الأخرى اللازمة أو الممكنة؛ فالحوار يخلق مناخًا متغيراً يصبح من السهل فيه علاج القضايا العميقة، أما رفض الحوار فسيبقى الصراع مستمرّا.

ماذا يمكن أن تفعله حكومة الولايات المتحدة:

تصميم سلاح السلام الشامل

إذا أرادت أمريكا رأب الصدع بين العالم الإسلامى والغرب، فيتعين عليها أن تعلن جهراً أن سياستها الخارجية ستعود إلى قيمها الديمقراطية الأصلية. يجب أن تفصح بوضوح عن رؤية للرأسمالية الديمقراطية الإسلامية للمسلمين العاديين فى جميع بلدان العالم. ويستحسن أن يستهل هذه الجهود رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، بأن يوجه خطاباً للعالم الإسلامى بأكمله بشكل مباشر ومؤثر، كما ينبغى أن تضم رسالة الرئيس المعتقدات الأخلاقية التى جاءت فى خطاب «الحريات الأربع» أمام الكونجرس، والنبرة العاطفية لجون إف كينيدى عندما قال بالألمانية: «أنا برلينى» حتى يظهر بكل تأكيد أن أهم المصالح الأمريكية تتلاقى مع أهم مصالح العالم الإسلامى. لقد كان خطاب الرئيس جورج بوش فى الذكرى العشرين للوقف القومى للديموقراطية الأقرب لهذا الموقف منذ أن تحدث الرئيس روزفلت مباشرة عن احتياجات العالم الإسلامى بهذا الشأن[1]، لكن هذا الخطاب كتب فى واشنطن بمقاطعة كولومبيا ولجمهور أمريكى. كانت زيارته المفاجئة لبغداد يوم عيد الشكر ٢٠٠٣م واحدة من الفرص العديدة الضائعة لمخاطبة العراقيين وغيرهم فى العالم الإسلامى عبر أثير التلفزيون أو الإذاعة، لكن بدون شك، سوف تتاح لرئيس العالم الحر مناسبات أخرى تتعهد فيها الولايات الأمريكية علانية وبصدق بنهج سياسة خارجية جديدة تجاه العالم الإسلامى.

سوف تساعد هذه السياسة الخارجية الشعوب الإسلامية على تحقيق الأهداف الرئيسية التالية:

١ ـ الحرية الاقتصادية (التى تعنى التحرر من الفقر) للمسلمين على مستوى العالم، ويعنى هذا تقديم المساعدة فى إنشاء البنية التحتية الاقتصادية الأساسية والضوابط الاقتصادية اللازمة للبلاد الإسلامية كى تقيم مجتمعات مزدهرة تحسن من نوعية معيشة المواطنين؛ فمن الضرورى خلق أو إصلاح النظم المصرفية وأسواق رأس المال والبورصات ووضع السياسات النقدية الصحيحة. ويعيش معظم المسلمين فى اقتصادات تتضخم عملاتها بسرعة مما يسبب تآكل فى مدخرات الفرد، ويجعل حياة الفرد المتوسط أكثر صعوبة بشكل متزايد، وتحتاج المجتمعات الإسلامية بشدة إلى عملات مستقرة وتضخم منخفض.

٢ ـ سيادة القانون بالنسبة إلى المسلمين فى شتى أنحاء العالم، والذى يتضمن العدالة والأمن والتحرر من الخوف، فالشريعة الإسلامية لا تتسامح مع أية جماعة من الأفراد فى المجتمع تعلو فوق القانون ولا تضع معايير مختلفة للعدالة بين المسلمين وغير المسلمين، وتحتاج المجتمعات الإسلامية إلى سلطة قضائية مستقلة، وليس إلى سلطة قضائية يمكن أن يحدد قراراتها أفراد فى السلطة السياسية. كما ينطوى الجمع بين الهياكل الاقتصادية وسيادة القانون ـ ضمنًا ـ على وجود تشريعات اقتصادية جوهرية، مثل إصدار تشريعات لمكافحة الاحتكارات للتخلص من الشركات الاحتكارية، وخلق فرص متكافئة بشكل أكبر (وهو نوع التشريع الذى اضطرت الولايات المتحدة لتطبيقه لحماية ديمقراطيتها)[٢] والإجراءات الوقائية التى طبقتها إدارات ويلسون وروزفلت مثل تقديم التأمين على الودائع، وتوفير الائتمان وشبكات الأمان الاقتصادية لمختلف القطاعات الاقتصادية والسكان بشكل عام. وفى حين قد تكون بعض أشكال المساعدة المالية المباشرة من الولايات المتحدة ومجموعة السبعة الكبرى مطلوبة، فإن المجتمعات الإسلامية فى حاجة أكبر إلى مساعدة «هيكلية» وهى المساعدة فى تطوير البنية التحتية الاقتصادية والاقتصادية ـ القانونية الصحيحة. وتمثل السياسات التجارية العادلة بندًا آخر من الممكن أن يقطع شوطًا كبيرًا فى طريق شحذ النية الحسنة للمسلمين تجاه الولايات المتحدة.

٣ ـ مشاركة عامة وأوسع فى صناعة القرار والحكم فى البلدان الإسلامية مع حماية حقوق الإنسان، ولا يعنى هذا تحولاً عنيفًا بين عشية وضحاها لجميع الحركات

الإسلامية إلى ديمقراطية كاملة، فتلك مهمة مستحيلة، لكنه يعنى دعم مبادئ الديمقراطية داخل الحكومات القائمة والسماح للجماعات المتنوعة من السكان بمشاركة هادفة على نحو أكبر فى حكوماتهم، ثم التطور التدريجى بوضع إجراءات تنظم مدة ولاية أهم مناصب القوة فى البلاد. حيث إن وضع حد لمدة تولى المناصب أمر مستحسن أفضل من البدائل التى تنفذ بالقوة[٣].

٤ ـ مبدأ فصل السلطات المحدد إسلاميّا الذى يعنى:

* سلطة قضائية مستقلة عن السلطات التنفيذية والتشريعية.

* اقتصاد متحرر من سيطرة الدولة مقترنًا بقطاع اقتصادى خاص وغير احتكارى، مع وجود إجراءات وقائية لمكافحة الفساد.

* قوة عسكرية لا تتدخل فى شئون الحكم.

* صحافة حرة، مع إتاحة فرصة أكبر لمعرفة التصرفات الحكومية للمساعدة فى توعية الناس ومساعدتهم فى إخضاع الحكام للمساءلة.

* حرية التعبير والعبادة وحماية جميع المؤسسات الدينية ودور العبادة.

وبالمثل وبالإضافة إلى الأهداف الأربعة السابقة التى تخص بناء الأمة، يجب على الولايات المتحدة أن تتعهد بإيجاد حلول جذرية للصراعات الثلاثة الطويلة:

١ ـ الصراع العربى ـ الإسرائيلى فى الشرق الأوسط الذى سينهى التوتر الدينى الإسلامى اليهودى.

٢ ـ الصراع على كشمير بين الهند وباكستان الذى سينهى التوتر الدينى الإسلامى الهندوسى.

٣ ـ صراع الشيشان مع روسيا.

يتعين على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ـ وهى تعمل على مساعدة العالم الإسلامى فى تحقيق الأهداف السابقة ـ أن تسعى جاهدة للحصول على مشاركة الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية التى تسعى إلى نفس الأهداف، حيث لا يمكن تحقيق تغيير سريع إلا عندما تتضافر هذه الجهود معًا، ونجد فى مشروع هبوط الإنسان على سطح القمر مثالاً رائعًا لتضافر المبادرات الاستراتيجية معا، فقد عمل عدد لا حصر له

من العلماء والمهندسين فى أجزاء منفصلة من المشروع، لكنهم ركزوا جميعًا على الهدف العام وهو هبوط الإنسان على سطح القمر، فبدون الدعم التنظيمى من إدارة الفضاء والطيران الأمريكية «ناسا» التى جمعت بين أهل الخبرة للعمل على تطوير التكنولوچيا والمعرفة الفنية، كان من المؤكد أن لا يتحقق وعد جون كينيدى بإنزال إنسان على سطح القمر فى نهاية الستينيات فى ذلك الموعد، وربما لم يكن ليتحقق على الإطلاق، وبنفس الطريقة، أعتقد أن الحكومة الأمريكية لو كانت تعهدت بمبادرة كسب السلام بين أمريكا والعالم الإسلامى، لأدى ذلك إلى نتائج إيجابية سريعة.

فيما يلى بعض القوى الفاعلة المطلوبة لتكوين فريق السلام الذى أتحدث عنه:

* علماء مسلمون، وخاصة علماء الشريعة والفقه.
* علماء غربيون فى القانون الدستورى، وخبراء آخرون فى القانون.
* علماء دين من أتباع العقائد الدينية التى تتقاطع مع العالم الإسلامى، خاصة اليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية.
* اقتصاديون وخبراء مصرفيون.
* خبراء فى حل الصراعات.
* خبراء فى التعليم.
* خبراء فى الاتصالات ووسائل الإعلام.
* علماء النفس وعلماء الاجتماع.

تتوافر هذه الشخصيات والمهارات بشكل كبير فى الجامعات والمعاهد الأكاديمية والمنظمات غير الحكومية ومراكز البحوث والدراسات وعالم الأعمال والحكومة؛ لكننى أستطيع أن أؤكد أنه لو لم يتم توظيفهم معًا كفريق واحد، فإن الإطار الزمنى لتحقيق هذه الأهداف سيكون عقودًا بدلاً من سنوات، ومن المحتمل أن يحدث الضرر كلما زاد الوقت.

وعلى سبيل المثال، فقد ناقشنا بعض نواحى القضية الشائكة للفصل بين الكنيسة والدولة، كما ينظر إليها من المنظور الإسلامى والأمريكى، حيث تتداخل هذه القضية مع الشريعة الإسلامية والقانون الدستورى الأمريكى والحكومة، وهى موضوع محل

اهتمام شديد من علماء ومفكرى الديانات الأخرى. كما أن له أهمية بالنسبة لبلدان مثل إسرائيل وباكستان وإيران؛ لكن معظم الناس، حتى المعنيين بالدين، ليسوا مؤهلين بالقدر الكافى للتفكير فى هذه المسائل بطريقة تجعلها جلية، ومع ذلك فمن المهم أن يتم شرح هذه القضية وتوضيحها بشكل يستطيع حتى الشخص العادى فهمه.

وينطبق الأمر نفسه على القضايا الاقتصادية. فمعظم الناس عاجزون عن تفهم أهمية قوانين مكافحة الاحتكار، ودور السياسات النقدية والبنيان المالى للاقتصاد لضمان عملة سليمة ومستقرة، لكن هذه القضايا تأتى بين الموضوعات التى تشعل كثيرًا من التخبط فى العالم الإسلامى. فعلى سبيل المثال، كان عبد الهادى أوانج، زعيم حزب المعارضة الماليزى فى ولاية ترانجانو بماليزيا، قد حظر الفائدة على القروض الحكومية للموظفين المدنيين لشراء المنازل والسيارات، وألغى ما أسماه ضرائب ورسوم «غير إسلامية»[٤]. وبينما كان ممكنًا إلغاء الفائدة على قروض السيارات والقروض الإسكانية عن طريق رفع أسعارها لتغطية تكلفة رأس المال، ليس من الواضح كيف يمكن التحكم فى السياسات النقدية دون أوراق مالية تستند إلى فائدة.

كما ذكرنا آنفًا، فإن تشييد العقارات وصناعة السيارات أكبر عنصرين من عناصر الاقتصاد الأمريكى؛ لذلك فإن إلغاء الرهن العقارى وقروض السيارات يجعل الاقتصاد الأمريكى يعانى مما يماثل سكتة قلبية شديد، فكيف نتوقع أن ينجح اقتصاد البلدان الإسلامية دون الأثر الاقتصادى القوى والرافع للنشاط العقارى الذى يستطيع أيضًا أن يمكن ملايين المسلمين من امتلاك عقارات؟ يضطر العالم الإسلامى حاليًا لاستخدام الصكوك القائمة على الفائدة لسد حاجاته من تكوين رؤوس الأموال وتوفير السيولة المالية وتنفيذ السياسة النقدية. لكن ستظل هذه النقطة محل نزاع حتى تتمكن الحكومات الإسلامية من إيجاد سبيل يتعامل به عامة الناس مع مشكلة الربا.

وبشكل عام، فإن مبادرة كسب السلام هذه هى عمل متعدد الاختصاصات على مستوى لم يتم الاضطلاع به من ذى قبل وهو: تجميع مهارات متباينة، ليس فقط من مجالات متغايرة، بل أيضًا من خلفيات وعقائد مختلفة ومزجها معًا بطريقة مركزة، ويعتبر المسلمون الأمريكيون الذين فهموا المنظورين حق الفهم والذين يمكن أن يقوموا بدور المترجمين المطلوبين بشدة فى رأب الصدع، عنصرًا جوهريًا فى هذه العملية.

ماذا يمكن أن يفعله المسلمون الأمريكيون:

التحول من «مسلمين فى أمريكا» إلى «المسلمين الأمريكيين»

يمكن أن يقدم المسلمون الأمريكيون ـ الذين لهم قدم فى الشرق وأخرى فى الغرب ـ مساهمة حيوية، فهم فى وضع لا يمكنهم فقط من القول بأنه لا يوجد تناقض بين الدين الإسلامى وتوق الكثير من المسلمين إلى قيم الديمقراطية وتكافؤ الفرص، بل القول أيضًا بأن كلاّ من الدين والفقه الإسلامى يطالبان بهذا، وحيث إنهم يفهمون تطلعات كلا الجانبين، ووفقوا بين هويتهم الأمريكية والإسلامية، فإن لهم دورًا محوريّا فى الوساطة فى بناء الثقة والتواصل بين الأديان والثقافات فيما بين أمريكا والعالم الإسلامى.

يستطيع المسلمون الأمريكيون أن يساعدوا فى صياغة لغة أفضل وبنهج مبتكر وربما وهو الأهم، صياغة منظورات فاعلة وصحيحة تستطيع بها أمتنا أن تساعد العالم الإسلامى فى حل مشكلاته، وذلك عن طريق تكوين تحالفات وائتلافات مع المجموعات الدينية الأمريكية الأخرى، خاصة المؤسسات المسيحية واليهودية الكبرى؛ وبذلك يقوم المسلمون الأمريكيون بواجبهم فى أداء دور شديد الأهمية كوسطاء بين ١,٢ مليار مسلم فى شتى أنحاء العالم ودولتهم العظيمة.

وقد واجهت قدرة المسلمين الأمريكيين المعتدلين سياسيّا الذين يمثلون الأغلبية على القيام بدور رائد فى إعادة العافية إلى العلاقات بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة، التحدى من مجموعة معقدة من القضايا، حيث طفق ستون فى المائة من المسلمين الأمريكيين يتحولون من الجيل المهاجر الأول إلى جيل ثان من المسلمين الأمريكيين الجدد، كما أن المسلمين الأمريكيين الأفارقة الذين يمثلون الأربعين بالمائة المتبقية هم مسلمون أمريكيون غير مهاجرين نشؤوا من الجيل الأول للمسلمين السود الذين اعتنقوا الإسلام خلال حقبة الحقوق المدنية فى الستينيات، وشكلتهم دينامكية هذه الفترة إلى الجيل الثانى الذى شكلت إسلامه اعتبارات دينية وروحية وتحد اجتماعى وهو كيفية الاندماج مع قرنائهم المهاجرين.

إن من التحديات التى تواجه أى مجتمع مهاجر هو كيفية الانتقال من كونه مجتمعًا مهاجرًا إلى تطوير أسلوب محلى للتفكير وللمعيشة، فعندما انتشر الإسلام من شبه

جزيرة العرب إلى باقى ما يعرف اليوم بالعالم الإسلامى، كان عليه أن يعيد عرض مبادئه الدينية فى إطار السياق الثقافى للمجتمعات القديمة قبل الإسلام مثل: مصر وبلاد ما بين النهرين وتركيا وإيران وإفريقيا والهند وغيرها؛ ونستطيع أن نشهد فروقًا طفيفة بين الإسلام فى مصر والإسلام فى الهند، وبين الإسلام فى تركيا والإسلام فى السنغال ـ وهى ليست اختلافات فى العقيدة، ولكن فى السوسيولوچيا والقوانين التى انحدرت من العادات المختلفة التى كانت موجودة سابقًا فى كل مجتمع.

وهناك تحد كبير يواجه الولايات المتحدة فى الوقت الحالى يدور حول تطوير هوية إسلامية أمريكية يمكنها أن تضم وبشكل هادف كل الهويات المتعددة للمسلمين المهاجرين وهوية الأمريكان الأفارقة المحليين أيضًا. ولسوء الحظ، فقد جعل تاريخ العلاقات بين العالم الإسلامى والغرب (بما فيه أمريكا) الكثير من الأمريكيين يساوون بين الإسلام والعداء لأمريكا والعداء للغرب، وهذا تصنيف عام ظالم.

يجب أن يتضمن العمل على تطوير هوية إسلامية أمريكية ـ بحكم التعريف ـ تقديراً كبيراً لما يعنيه كونك أمريكيّا وما يعنيه كونك مسلمًا على حد سواء، فلا يمكن أن يصبح كونك مسلمًا أجنبيّا يعيش فى أمريكا مجرد تجربة عارضة، كل جانب منك فى صراع مع الآخر؛ كما لا يمكن أن تكون أمريكيّا بغرض رفض أمريكا، فالأمر يتطلب تفريغ الطبقات النفسية لخبرة الماضى الفردية والجماعية، وفصل التاريخ عن الإنسانية الأصيلة، ونبذ ما ليس له صلة، وخلق هوية قائمة على ما هو باق بالنسبة لوضع إنسان يعيش فى أمريكا جديدة وعالم متعولم[٥].

ومن طرق تحقيق هذا الهدف أن ننخرط مع من سبقونا فى تجربة الهجرة، وهم المسيحيون واليهود الذين كان عليهم صياغة هوية مسيحية أمريكية ويهودية أمريكية، ونتعلم من تجربتهم فى التحول من كونهم تعبيرات مستوردة من الكنائس والكنيسات الأوروبية الرئيسية إلى كونهم تعبيرات أمريكية عن اليهودية والمسيحية، وبالرغم من أن كل تجربة تعد تجربة فريدة من نوعها، إلا أن هناك نواحى كثيرة مشتركة فى المسيرة، ويمكن أن توفر فرصًا هادفة ومثمرة لحوار الأديان. وكما رأينا فى الفصل الخامس، فقد اضطرت كل جماعة فى أمريكا أن تناضل لتتغلب على عامل الإذلال الذى تملكه

الأغلبية البروتستانتية راسخة الأقدام فى أمريكا، لكن كما يقول المثل، فإنه من الأفضل التعلم من أخطاء الآخرين؛ لأن الحياة أقصر من أن تسمح بارتكاب جميع الأخطاء، وهذا يعنى أن أسرع مسار متاح أمام المسلمين الأمريكيين الساعين للعثور على هويتهم الأمريكية يكمن فى التعلم من تجربة المهاجرين الأمريكيين الكاثوليك واليهود، ومزج ذلك بالدروس المستفادة من التاريخ الإسلامى عندما انتشر المسلمون الأوائل خارج الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى الثقافات القديمة من غرب أفريقيا إلى جنوب غرب آسيا، يجعل الإقرار بهذا يساعد المسلمين الأمريكيين فى صياغة أسرع لتعريف جديد لما يعنيه كونك مسلمًا أمريكيًا يعيش فى عالم متعولم ـ وبقدر ما هو من أجل أطفالهم وأحفادهم، فإنه من أجل ٢ , ١ مليار مسلم حول العالم.

يواجه المسلمون تحديًا فريدًا فى هذا الصدد؛ لأنه عندما تأصلت المسيحية واليهودية فى أوروبا، طورتا شخصية غربية مختلفة عن جذورهما السامية؛ لذا يتعين على الإسلام أن يطور شخصية غربية؛ لأن تاريخه كان شرقيًا وساميًا فى المقام الأول.

ومن خلال هذه المشاركات والمبادرات ينبغى على المسلمين الأمريكيين أن يشكلوا شبكة غير رسمية من المفكرين والعلماء والقادة الدينيين من المسلمين وغير المسلمين الذين يجمعهم الالتزام بالقيم الديمقراطية والتعددية والمجتمع الحر كما جاءت فى المفردات والأبنية الفقهية القويمة إسلاميًا.

وسيكون الهدف طويل الأجل لهذه الشبكة الجديدة هو التعجيل بتطوير هوية إسلامية أمريكية صحيحة، تكون إسلامية وأمريكية بشكل كامل، وتلتزم تمامًا بقيم ملة إبراهيم؛ كما يمكن أن ترعى ندوات تهدف لتوضيح الخلط بين ما هو إسلامى حقًا بالمفهوم العقائدى والفقهى وما هو مجرد نتاج للعادات الثقافية والاجتماعية التى أحضرها المهاجرون المسلمون من بلادهم إلى أمريكا. وإذا نظر المسلمون الأمريكيون إلى العالم بعيون جديدة لا يغشاها التاريخ الثقافى، سيكون لهم دور رئيسى يقومون به على الساحة الدولية فى قيادة العالم الإسلامى نحو الحريات الاقتصادية التى يتوق إليها مواطنوه بشدة، بينما يتمتع بها المسلمون فى الغرب بشكل طبيعى.

ماذا يمكن أن يفعله المربون:

تشكيل الجيل التالى من المواطنين المسلمين

أشار ألان بلوم، الأستاذ بجامعة شيكاغو، فى كتابه «انغلاق العقل الأمريكى»، إلى أن كل نظام سياسى يشكل مواطنيه طبقًا لاحتياجاته؛ وهدف بعض البلدان هو بناء شخص تقى، بينما نجد أن الشخص المولع بالحرب هو هدف بعض البلدان الأخرى، فى حين يكون الشخص الذى يكد هو غاية بعض البلدان الأخرى؛ وبما أن الولايات المتحدة ساعدت خلال الحرب الباردة على خلق مواطن مسلم مولع بالحرب ـ وذلك بدعم المدارس الباكستانية التى تقوم بتدريس الفكر المتطرف للإعداد لمحاربة الاتحاد السوفييتى ـ فهى الآن مطالبة بالالتزام بدعم جهود الإصلاح التى تسعى لتعليم مواطنين مسلمين ليكونوا أتقياء ومؤيدين للتعددية، وقد أعرب الرئيس الباكستانى برفيز مشرف، فى المنتدى الاقتصادى العالمى بدافوس عام ٢٠٠٤، عن استعداده ليقيم فوراً خمسمائة مدرسة تقوم بتدريس مناهج مختلفة تقاوم المذهب المتطرف، ولكنه قال: «من أين سيأتى المال المطلوب للإنفاق عليها؟»، والولايات المتحدة لها مصلحة ذاتية فى تمويل هذه المدارس؛ لأن التعليم أحد أكثر الطرق المؤثرة فى شن الحرب على الإرهاب.

يمكن أن تشارك الجماعة غير الرسمية من المفكرين والعلماء والقادة الدينيين من المسلمين وغير المسلمين التى ذكرناها آنفًا فى تسريع الجهود الحالية لتصميم منهج تعليمى للمدارس يدعم هذا الهدف، ويمكن لهذه الشبكة أن تدعم برامج تعليمية فى المؤسسات الأكاديمية القائمة، وأن تنظم ندوات يمكن أن يعمل فيها المسلمون الأمريكيون على التوفيق بين القيم التى تجذب الكثيرين نحو الولايات المتحدة فى المحل الأول وبين ما يعتزون به من تقاليد دينية؛ وسوف تساعد هذه البرامج التعليمية على استيعاب المهاجرين المسلمين الجدد فى المجتمع الأمريكى، كما ستساعد الشباب المسلم من الجيل الثانى المولود بأمريكا على توصيل الحلم الإسلامى الأمريكى لأمتهم وللعالم، وهناك جانب محورى لهذه المهمة التعليمية للشبكة هو إقامة تواصل غير رسمى بين قادة الرأى المسلمين الأمريكيين فى الداخل والخارج، مع تشجيع قادة من الشباب الصاعد على إيجاد وسيلة للتعبير عن رأيهم، ويمكن أن تقدم هذه الشبكة النصح الفكرى للجيل التالى من المواطنين المسلمين الديمقراطيين.

ماذا يمكن أن يفعله اليهود:

مضاعفة الجهود لتحقيق السلام فى الأرض المقدسة

انطلاقًا من دورها التقليدى كقائد للعالم الحر، يجب أن تتصدى أمتنا بشكل مباشر للقضية الفلسطينية الإسرائيلية؛ لأنها تعتبر أكبر العوائق أمام إعادة العافية إلى العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامى.

تحقيق السلام بين إسرائيل وفلسطين أمر جوهرى لإقامة السلام بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا السلام سيساعد على إزالة الكراهية الدينية بين المسلمين واليهود، ويوقف العداء المتزايد للسامية فى العالم، وقد حاولت إدارة كلينتون التوسط فى عملية السلام عام ٢٠٠٠م لكنها لم تتمكن ـ وبغض النظر عن السبب ـ من صياغة اتفاق دائم، ولقد اقتربنا من تحقيق السلام فى ذلك الوقت ونظرًا لاقترابنا منه يجب علينا أن نعيد المحاولة ونضاعف جهودنا لمعالجة هذا الجرح الغائر.

لو كانت الولايات المتحدة أصرت على دعمها لعملية السلام فى الشرق الأوسط، حتى بوضع قواتها بين الإسرائيليين والفلسطينيين إذا لزم الأمر كما فعلت فى أماكن أخرى، لفسر هذا على أنه تعبير عن رغبتها الحقيقية فى إنشاء علاقات أفضل مع العالم الإسلامى؛ ولكن على النقيض من ذلك، يفسر المسلمون الاستعداد الأمريكى لترك القضية الفلسطينية تتأزم بلا حدود بأنه سلوك مستخف يتجاهل مصالح المجتمع الإسلامى العالمى؛ لأنه بمجرد قبول الفلسطينيين لخطة تسمح لهم بالبدء فى التركيز على عيش حياتهم، فإن باقى العالم الإسلامى سيتفق مع ما قبله الفلسطينيون؛ لأنهم الطرف الرئيسى المعنى.

وقياسًا على كرة القدم، فإن المطلوب هو سلسلة من إحراز نقاط سريعة تلقى دعاية جيدة لتحفيز المسلمين العاديين بشكل سريع وإقناعهم بأن أمريكا جادة فى سعيها لإقامة علاقة احترام متبادل، وستظل القوة العسكرية والاقتصادية العظمى فى العالم هى اللاعب الرئيسى فى أى جهد يبذل لتحقيق السلام، حيث تملك الولايات المتحدة المنصة الرائعة عالميًا لتجميع الأمم المتحدة وأية مجموعة أخرى من الدول، مثل الدول العربية ومجموعة السبعة، لتوليد القوة الدافعة اللازمة وتركيز الخبرة المطلوبة لتحقيق النتائج الملموسة.

إن أسرع طريق خلال أى جبل هو فى العادة الالتفاف حوله، فإذا كانت الصين هى طريق السلام بين الهند وباكستان، فإن طريق السلام فى الشرق الأوسط بين إسرائيل وفلسطين سيمر على الأرجح من خلال الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة لا تزال هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تستطيع أن تجمع الأطراف المتحاربة معًا من خلال الممارسة الكاملة للقوة المعنوية لقيادتها للعالم. وتستطيع الولايات المتحدة أن تجنى فيضًا هائلاً من الود من باقى العالم إذا بذلت نصف جهدها التى استنفذته للإطاحة بصدام حسين فى إقامة السلام فى فلسطين. ولك أن تتخيل أيضًا كم سيصبح العالم والولايات المتحدة أكثر أمنًا بمجرد انتهاء هذا الصراع.

إن المجتمع اليهودى الأمريكى هو أهم لاعب فى هذا المجال، فهو يعرف جيدًا كيف يقوم بالعمل اللازم لجعل قضية السلام فى الشرق الأوسط لها الأولوية لدى قادة الحكومة الأمريكية والكونجرس.

ولهذا الغرض فإنى أقترح (وسأصف فيما يلى) سلسلة من الحوارات حول القدس لاستكشاف ماهية الوطن الآمن لكلٍّ من الجانبين. وسوف يكون المسلمون والمسيحيون واليهود الأمريكيون الذين يشاركون فى هذا الاستكشاف فى وضع مثالى لينقلوا آراءهم لصناع السياسة الأمريكية.

إن استمرار التفجيرات الانتحارية لمائة عام لن يرمى إسرائيل فى البحر، كما أن استمرار الاغتيالات الموجهة وتجريف المنازل من جانب إسرائيل لمدة مائة عام لن يجفف مستودع المجندين الفلسطينيين من الشباب المتلهف للانضمام إلى منظمات مثل حماس، وقد أدى كل عمل من أعمال العنف ضد إسرائيل إلى إضعاف الأحزاب الإسرائيلية الداعية للسلام بشدة، ودفع العامة إلى أحضان الصقور المتطرفين، وبالمثل فقد عمقت سياسات هؤلاء الصقور المتشددة تجاه الفلسطينيين الإحساس بالإحباط والشعور باليأس، وهما وقود أعنف سبل المقاومة والاستشهاد، ولو بالعمليات الانتحارية، ومعاداة السامية فى أوروبا والعالم الإسلامى، واحترام أقوال المسلمين عن الإرهاب اليهودى؛ وهكذا تستمر الدائرة المميتة مع تزايد أعداد الموتى على الجانبين.

والتصريحات التى يدلى بها بعض الإسرائيليين بأنهم لن يتفاوضوا أبدًا مع منظمات إرهابية، والتصريحات التى يدلى بها بعض الفلسطينيين بأنهم لن يتفاوضوا أبدًا مع دولة إسرائيل الخارجة عن القانون، تكفل أن الصراع سيستمر فى حصد أعداد مفجعة من أرواح الأبرياء من الجانبين. وإن إراقة الدماء لن تتوقف حتى يرهق القتل الجانبين ويصبحا مستعدين فى النهاية لإقامة حوار حقيقى، ليس حوارًا مسرحيًا موجهًا لآذان الولايات المتحدة والأمم المتحدة. فقد أشعرتنى معاهدة جنيف، التى هندسها كلٌ من ياسر عبد ربه ويوسى بيلين (وزير الثقافة والإعلام الفلسطينى وزعيم المعارضة الإسرائيلية) بالراحة؛ لأنها تعبر عن الشعور بتزايد أعداد القتلى من الجانبين.

يقول مارك جوبين، الأستاذ بجامعة توفتس الخبير فى حل الصراعات فى برنامج هارفارد للمفاوضات، إن الكرامة هى ما يحتاجه الفلسطينيون ويطلبونه من الإسرائيليين، فى حين يتوق الإسرائيليون ويحتاجون إلى ملاذ آمن على المدى الطويل، ويشعر كلا الطرفين بالمرارة للحرمان من نفس الحاجة وهى الوطن الآمن. إن الحاجة الماسة للفلسطينيين هى ما يفتقدونه بشدة، وهى كرامة الوطن والملكية الفعلية لأرض الأجداد المتوارثة، بينما يتوق الإسرائيليون لما يفتقدونه بشدة ألا وهو حماية الأجيال من الإبادة[٦].

نادرًا ما تتوافر لكبار القادة المسلمين واليهود فرص لإجراء حوار جاد يتجاوز الأمور السطحية، وتستفيد الطائفتان من التواصل والتفاهم المتزايدين ـ فكلٌ منهما لديه اهتمام حيوى بإيجاد حل عادل وآمن للصراع الفلسطينى الإسرائيلى الذى وفر الوقود الأساسى لكثير من أشكال التعصب الدينى والإرهاب على مستوى العالم. وفى الوقت ذاته، أصيبت أعداد متزايدة من اليهود والمسلمين فى الولايات المتحدة بالإحباط بسبب عدم حل هذا الصراع، وكانوا يرغبون فى رؤية الولايات المتحدة تلعب دورًا أكثر حسمًا فى إيجاد حل له. ولو استطاع الزعماء المسلمون واليهود الأمريكيون الاتفاق على بعض القضايا الرئيسية وتحدثوا معًا بصوت متحد، فسيكون لهم تأثير قوى على توجيه عجلة السياسة الخارجية الأمريكية نحو القيام بدور أكثر مشاركة ومصداقية فى بناء السلام.

فعلى سبيل المثال، يمكن أن يجتمع كبار القادة اليهود والمسلمين فى سلسلة من الموائد المستديرة للحوار فى القدس يُدعى إليها قادة علمانيون ودينيون؛ وربما يكون من

بين المشاركين المسلمين كبار الأساتذة الجامعيين وقادة المجتمع ورجال الأعمال، بالإضافة إلى أئمة يمثلون أهم الجماعات الإسلامية فى الولايات المتحدة، بينما يكون من بين المشاركين اليهود زعماء أكبر المنظمات اليهودية مع مجموعة من قادة المجتمع ورجال الأعمال، كذلك تتم دعوة قادة مسيحيين بارزين وبعض المنظمات غير الحكومية التى لها خبرة فى جهود السلام فى الشرق الأوسط، بما فيهم الفلسطينيون والإسرائيليون، وأخيراً قد يطلب من الخبراء المشهورين على المستوى القومى فى حل الصراعات ترؤس هذه المجموعة.

ستهدف هذه الحوارات لبناء الثقة بين المسلمين الأمريكيين واليهود الأمريكيين، واستكشاف ماهية الوطن الآمن لكلٍّ من الجانبين، والتفكير فى إمكانية وضع حلول عادلة وآمنة للصراع الإسرائيلى الفلسطينى، كما سيستعرض القادة المسلمون واليهود المجتمعون فى الولايات المتحدة نفس القضايا التى ناقشها المفاوضون الإسرائيليون والفلسطينيون فى الشرق الأوسط، لكنهم سيقومون بهذا من منظور جديد أقل تقيداً من الناحية السياسية، مما يفيد فى ملء المساحات التى ما زالت غير مرسومة فى أية خارطة طريق أخرى للسلام فى المستقبل.

وبهذا يستطيع كلٌّ من القادة المسلمين واليهود الأمريكيين المشاركين فى هذه المحاولة تشكيل شبكة عمل غير رسمية تمكن المجموعة من التشاور السريع فى أوقات الضرورة القومية الملحة، وذلك عندما قد يساعد رد إسلامى ـ يهودى منسق فى نزع فتيل التوتر فى طائفتيهما والأمة كلها، وسيكون القادة من المسلمين واليهود والمسيحيين الأمريكيين المشاركين فى هذا الاستكشاف فى وضع مثالى لتبليغ رؤاهم الثاقبة لصناع السياسة الأمريكية، ولتشكيل لوبى يضغط على الإدارة الأمريكية والكونجرس لتنفيذ إطار سياسى فعال للسلام ومقبول من كل الأطراف[٧].

ماذا يمكن أن يفعله المسيحيون الأمريكيون:

مواصلة حوار الأديان بقوة

قام المسيحيون بعمل رائع فى هذه الدولة فى مجال حوار الأديان، وأينما أتحدث هنا

فى أمريكا، لا سيما منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فإننى أجد نية حسنة من جهة المسيحيين ورغبة العديد منهم للمشاركة فى الحوار الذى يدور حول هويتنا الأمريكية المشتركة؛ كما أن الكثير من المسيحيين، سواء كانوا أفرادًا أم ممثلين لمؤسسات، يتوقون إلى التعاون من أجل تطوير المبادرات التى ستفتح بدورها أبواب الفهم بين المسيحيين والمسلمين، فبلادنا فى حاجة ماسة إلى استمرار روح الانفتاح، والمسيحيون الأمريكيون يستحقون الإشادة على الخطوات الهامة التى اتخذوها بالفعل فى مجال حوار الأديان.

يقع على عاتق المسيحيين الأمريكيين أيضًا دور هام فى الحوار بين المسلمين واليهود، فبنية الحوار الذى تم إرساؤها بين المسيحيين واليهود يمكن أن تكون أيضًا نموذجًا للحوار بين المسلمين واليهود، وعلى وجه الخصوص حول القضية الفلسطينية الإسرائيلية؛ ويتعين على المسيحيين الأمريكيين أن يفعلوا ما بوسعهم من أجل مشاركة المسيحيين العرب فى الحوار. يرى المسلمون أن هناك بعض الممانعة بين المسيحيين واليهود عن الاعتراف بالجاليات المسيحية واليهودية التى تعيش فى البلاد الإسلامية، فعلى سبيل المثال، يرغب المسيحيون العرب فى المشاركة فى الحوار الذى يخص قضايا الشرق الأوسط؛ لأنهم يشعرون بترابطهم بالمسيحيين فى الغرب عن طريق الدين وترابطهم بالعالم الإسلامى عن طريق الثقافة، كما أن اليهود السفارديم ـ والذين يمثلون أقلية بالنسبة لليهود الأشكيناز الذين ينتمون للسلالة الأوروبية ـ يشعرون بالحاجة والرغبة فى المشاركة فى هذا الحوار؛ ويدرك المسيحيون العرب واليهود السفارديم عناصر العالم الغربى والعالم الإسلامى، ومن ثم فإنهم يستطيعون أن يلعبوا دورًا مهمًا فى سد الفجوة بينهم.

ورغم ما تم تحقيقه من عمل فى مجال حوار الأديان على يد المسيحيين الأمريكيين، إلا أن هناك المزيد لم يتم إنجازه؛ فقد أطلق القس فرانكلين جراهام ـ رئيس جمعية «مال السامرى» وابن القس بيلى جراهام ـ على الإسلام بأنه «دين ملىء بالشر والإثم»، كما وصف جيرى فينز، الرئيس الأسبق «للمجمع المعمدانى الجنوبى» النبى محمدًا ﷺ بأوصاف لا تليق لما ادعاه عن أمور تتعلق بالجنس[٨]، وبما أننى أمريكى يحب الإسلام بشدة، فإنى لا أطيق سماع هذه الكلمات؛ بل إنها كلمات تسبب غضبًا لا يمكن

وصفه فى أماكن أخرى من العالم، كما تمثل مثل هذه الكلمات أيضًا نظرية لاهوتية غير مسيحية وخاطئة، وللأسف الشديد، فبنفس العاطفة وبطريقة عكسية، يشير بعض رجال الدين الإسلامى فى الشرق الأوسط إلى أمريكا على أنها «الشيطان الأكبر» ويدعون إلى جهاد عنيف ضد المسيحيين واليهود، ولأنى شخص يعمل بكل ما لديه لتحقيق السلام، فإننى أشعر بعظيم الأسى تجاه هذه الكلمات أيضًا؛ وذلك لأنها خطأ من الناحية العقائدية ولا تنبنى على القيم التى تنادى بها الشريعة والفقه الإسلامى.

لو استطاع المسيحيون الأمريكيون التوقف عن تعليقاتهم المثيرة للحنق على الإسلام، فسوف يسهم هذا فى خلق مناخ يستطيع «الزعماء الأصوليون» من كلا الجانبين من خلاله البدء فى عملية يحاولون من خلالها أن يفهم كلٌّ منهما الآخر بدلاً من أن يسب كلٌّ منهما الآخر بسبب الفجوة الثقافية، إلى كبح جماح النفس، فإن زعماء المسيحيين الذين لا يفهمون أو حتى ينتابهم الخوف من الإسلام سوف يحسنون صنعًا بإشراك القادة المسلمين المحليين بالدخول فى ديارهم للمشاركة فى حوار مفتوح تسوده روح طيبة، بل ويهدف إلى بناء الثقة والسماحة بين الجانبين.

إننى أحلم بيوم يزور فيه زعيم مسيحى أمريكى بارز مثل القس جراهام الموقر بيت آية الله إيرانى، وأن يمكث مع أسرته لمدة ثلاثة أيام، وفى المقابل يقوم آية الله بزيارة بيته فى أمريكا، وستوفر هذه الزيارة فرصة عظيمة لكلٍّ منهما لتعلم عقيدة الآخر، إلى جانب القاعدة الأخلاقية النبيلة التى توجد بكلا العقيدتين المعنيتين، وإذا ما تعلمنا أن نحب جيراننا بحق، فسوف يكون من السهل البدء فى محاولة فهمهم.

ماذا يمكن أن تفعله وسائل الإعلام الأمريكية

إظهار الإسلام وعدم حجبه

ينطبق المثل الأمريكى القائل، «ابتسم للعالم يبتسم لك» على العالم الإسلامى، فما أن تبتسم للمسلمين إلا ويبتسمون لك، لقد أبدت أمريكا لفترة طويلة تذمرها تجاه العالم الإسلامى، وتتعجب الآن من تذمر العالم الإسلامى من أمريكا، إننا الآن بحاجة إلى إصلاح جذرى فى جهود وسائل الإعلام الأمريكية وموقفها تجاه العالم

الإسلامى، وأى شىء أقل من هذا لن يجدى؛ لأنه لا يمكن أن ينظر العالمين الإسلامى والغربى الواحد منهما للآخر بشكل مستمر على أنه عدو موجود على الساحة.

فوسائل الإعلام الأمريكية وصناعة السينما تحسن عملاً بوقف وصفهما للمسلمين كأشخاص فاسدين، الأمر الذى يؤدى إلى تغذية كراهية الأمريكان للمسلمين، وغضب المسلمين العارم من أمريكا، فقد مرت عقود على وصف هولى وود لجماعات عرقية معينة بصورة سلبية، وذلك بسبب الدعاية المناوئة التى ترتد على الاستوديوهات، ولكن ظل العرب والمسلمون بطريقة ما هدفًا سهلاً للانتقاد. وقد وصفت الأفلام التى تصور الحياة فى غرب أمريكا «الوسترن» التى اعتدت مشاهدتها فى شبابى الأمريكيين أهل البلاد الأصليين بأنهم متوحشون برابرة، كما فعلت أفلام طرزان فى وصفها للأفارقة، ونحن نشاهد هذه الأفلام القديمة اليوم، ونجد أن الرسائل العنصرية الخفية التى تنقلها هذه الأفلام رسائل عدائية؛ إن الأفلام والكتب والمقالات التى تصف المسلمين بشكل سلبى تسهم فى زيادة التوتر بين العالم الإسلامى والعالم الغربى، فقد كان قرنائى فى الطفولة من الأولاد والبنات يجسدون الشخصيات المحبوبة التى يشاهدونها فى الأفلام ووسائل الإعلام مثل طرزان وجين، وجون واين وزورو. ولأن الملايين من أطفال المسلمين فى العالم يتأثرون بالأفلام الأمريكية، فما هى الشخصيات المحبوبة التى عرضتها أفلام هولى وود للأجيال الناشئة من أطفال المسلمين الصغار لتنافس صورة أسامة بن لادن؟

لذلك شعر المسلمون بالسعادة عندما بدأت تظهر الأفلام التى تصفهم وتصف ثقافتهم بصورة إيجابية مثل فيلم روبن هود: **أمير اللصوص**، الذى لعب فيه مورجان فريمان دور مسلم متعلم تعليمًا عاليًا يساعد روبين هود كيفن كوستنر فى تحقيق العدل للفقراء، وكذلك فيلم **المحارب رقم ١٣**، الذى لعب فيه أنطونيو باندیراس دور البطل؛ حيث كان يجسد شخصية مسلم نبيل انضم إلى بعض الفايكنج لحماية قراهم بها؛ هذا وقد شعر المسلمون الأمريكان بالافتراء عليهم ظلمًا إلى أن جاءت الأفلام التى تصفهم بشكل إيجابى، حيث رحبوا بها كنسمة هواء عليل، فاحترام ثقافة الآخر يفضى إلى الاحترام المتبادل، فى حين أن إهانة ثقافة الآخر تفضى إلى إهانة متبادلة، فكم ستتغير نظرتهم للعالم عندما يقارن ذوو الأصل الصينى والبوذيون الأفلام القديمة التى صورت الصينيين على أنهم طباخون خسيسون أو أناس غير موثوق بهم، بالأفلام

الجديدة مثل **النمر الرابض، والتنين الخفى** وغيرها من الأفلام التى وصفت الآسيويين والرهبان البوذيين الذى يحاربون بصورة تثير الإعجاب.

إن وسائل الإعلام الأمريكية المذاعة والمقروءة بوجه خاص بحاجة إلى أن تفعل الكثير من أجل تحقيق هدفها المدنى، وخاصة إلقاء الضوء على الجهود، وبشكل أكبر أهمية على المواقف والحجج الهامة التى يبديها المسلمون المثقفون حسنو الاطلاع المشاركون فى المناقشات الجارية بين الجالية الإسلامية هنا وفى الخارج، فالأجيال الجديدة من المسلمين ـ أمريكيين وأجانب ـ فى حاجة إلى الأمل، وهم بحاجة إلى أن يتعلموا كيف يصبحون أكثر مسايرة للعصر وأكثر تعددية وإسلامًا.

ماذا يمكن أن يفعله مجتمع الأعمال

لإحلال التطلع للمكسب الكبير محل التطلع للقتل

تتطلب رحلة تحقيق السلام أن نتخيل ماذا تبدو عليه عملية السلام بين الأطراف المتحاربة، وأن نعرف ما نريد تحقيقه ومتى سنحققه. ثم علينا أن نخطط له، وأن نستخدم مهارة وطاقة وقوة كافية لتحقيق ذلك الهدف.

فعلى سبيل المثال، إننى على يقين أنه بمجرد أن يتحقق السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، حتى وإن بدا هذا السلام غير كامل فى البداية، فإن الروابط الاقتصادية المتنامية بين إسرائيل وجيرانها سوف تخلق قوى فعالة للترابط. إن تعليقات أشوتوش فارشينى ـ التى تناولناها فى الفصل الرابع ـ لتوضح أنه بمجرد إقامة علاقات للتزامل، وهى الروابط التى تأتى نتيجة لعلاقات الأعمال والعلاقات التجارية والسياسية والمهنية، فإننا نستطيع أن نتوقع انحسار حالة العنف. وفى حالة تحقيق السلام فى الشرق الأوسط، فعلى الأرجح ستكون الدول المجاورة لفلسطين ـ إسرائيل: ولبنان والأردن ومصر وسوريا هى أهم الشركاء التجاريين لها. وقد أكدت أن البلدان الثلاثة، وهى لبنان وفلسطين وإسرائيل من المحتمل أن تكون من بين القاطرات الاقتصادية فى الشرق الأوسط؛ وذلك لأن اللبنانيين والفلسطينيين والإسرائيليين لهم علاقات عالمية فى المجالات التجارية والصناعية والمصرفية. ويمكن أن يصدق نفس

الأمر على فلسطين والأردن: وذلك بأن تصبح إسرائيل من بين أكبر وأهم الشركاء التجاريين لهما . وربما تستطيع الروابط الاقتصادية الإقليمية القوية أن تخلق ضغوطًا خلال عقدين للأخذ بعملة مشتركة، وكذلك قوة دافعة تهدف إلى تحقيق اتحاد اقتصادى يماثل الاتحاد الأوروبى، وعند هذه المرحلة من الزمن نستطيع أن ننظر إلى القضايا التى تمثل عائقًا كبيرًا حاليًا فى طريق السلام بمنظور مختلف تمامًا.

ينطبق نفس الأمر على المجالات الرئيسية الأخرى للصراع فى العالم الإسلام، مثل كشمير والشيشان، ومن المرجح أن تمثل الهند وباكستان ـ أهم الشركاء التجاريين ـ كلاً منهما للآخر فى أعقاب أية خطة سلام يتم العمل بها، وبمرور جيل أو أقل تغدو المنطقة التى تم تقسيمها فى عام ١٩٤٧ اتحادًا اقتصاديًا إلى جانب كشمير وبنجلادش.

ما الذى دفعنى إلى أن أقول هذا؟ انظر إلى العلاقة الاقتصادية المتنامية بشكل سريع بين كلٍّ من الهند والصين، فخلال أربع سنوات، ازداد حجم التعامل التجارى الثنائى بين الصين والهند من أقل من مليارى دولار سنويًا فى السنة المالية المنتهية فى ٣١ مارس ٢٠٠٠م إلى ٧ مليارات دولار فى السنة المالية المنتهية فى ٣١ مارس ٢٠٠٤، ومن المنتظر أن يصل إلى ١٠ مليارات دولار فى العام المقبل، وقد أقر رئيس وزراء الهند، أتال بيهارى فاجبايى بـ «أنه كانت هناك فترة فى العلاقات الصينية الهندية منعنا فيها انشغالنا بخلافاتنا من الفهم العملى للمنافع المتبادلة التى يمكن تحقيقها بالتعاون»[٩].

وغاية فى البيان، أن ذلك الانشغال بالخلافات منع الناس من أن يدركوا حجم المنفعة التى ستعود عليهم جراء التعاون مع بعضهم البعض، وهذا ما هو إلا تطبيق للقصة الصوفية (أو القصة البوذية لنوادر السفر حول العالم) التى تحكى عن أناس لم يكن باستطاعتهم أن يثنوا مرافقهم يجدون أنفسهم فى الجنة أو فى النار، وجهنم هى المكان الذى يجلسون فيه أمام وليمة ولا يستطيعون أن يأكلوا؛ وذلك لأنهم لا يستطيعون أن يثنوا مرافقهم، وبالتالى يتضورون جوعًا، أما الجنة فهى المكان الذى يستخدم فيه كل شخص ملعقة من أجل أن يطعم الشخص الذى يجلس فى المكان المقابل له.

فكم من الناس اليوم يتذكرون أنه منذ بضع سنوات خلت كان الجنود الصينيون والهنود يتقاتلون على الحدود بين الهند والصين؟ وكم من الناس يعلمون أن النزاع على

كشمير ليس نزاعًا قائمًا فقط بين الهند وپاكستان، ولكن أيضًا بين الهند والصين؟ إلا أن النزاع مع الصين على مشكلة الحدود يتضمن ولاية هندية أخرى وهى أروناشال براديش مع جامو وكشمير (وهذه ولاية واحدة) ترى بكين أنها من نزاعات الحدود الرئيسية طويلة الأجل، ولكن بموجب العلاقات الاقتصادية المتنامية (التى أطلق عليها فارشينى روابط الزمالة) فإن الدبلوماسيين الصينيين والهنود لديهم حافز قوى لم يكن لديهم على مدار الأربعين سنة الماضية لإبرام «اتفاقية شاملة تهدف إلى حل صراعهم القائم حول حدود يصل طولها إلى ٢٢٠٠ ميل، وقد قاموا بتعيين مبعوثين خاصين للعمل على إبرام هذه الاتفاقية»[١٠].

لقد كان من المفترض أن يتم تطبيق بيان رئيس الوزراء فاجبايى الحاسم عن الصين بشكل جاد على پاكستان. فالمشكلة الحرجة التى على الهند وپاكستان اجتيازها هى كيفية إقناع كلا الجانبين بأن المنافع المتبادلة الناجمة عن التعاون بينهما سوف تطغى بشكل كبير على انشغالهم بخلافاتهم.

وإذا ما نجحت الهند والصين فى تحقيق ذلك، فإنه من الممكن أن نأمل على نحو منطقى فى أن تستخدم الصين نواياها الحسنة وتأثيرها الإقليمى مع حليفها التاريخى پاكستان وتتوسط فى تقارب مماثل بين پاكستان والهند، وهذا يعنى أن طريق السلام من دلهى إلى إسلام آباد يمكن أن يمر ببكين، وكما حدث بين الولايات المتحدة والصين، فإن التجارة الثنائية المتنامية لها دور فى حل النزاعات وجعلها تبدو كعراك أطفال حول دمى رخيصة. كذلك يمكن أن تكون التجارة بين مثلث الهند وپاكستان والصين نعمة عظيمة على المنطقة التى تضم دولاً أخرى مثل نيبال والتبت وبوتان وبنجلادش. وإذا ما تخلت هذه الأطراف لفترة عن العداوة وركزت على التنمية الاقتصادية وتطوير التجارة الثنائية فيما بينها، فسوف تكون هناك حلول لأسباب هذا الصراع فى غضون عقد أو عقدين، ومن ثم يتمكن الأمريكان من زيارة الدلاى لاما فى التبت[١١].

لقد كانت الملصقات الأمريكية أثناء الستينيات تدعو إلى الحب لا إلى الحرب. ونحن الآن بحاجة إلى ملصقات تطبق درسًا أكثر فعالية تدعو إلى خلق فرص للعمل ولا تدعو إلى الحرب، حيث إن التاريخ قد أثبت أن وجود علاقات تجارية عديدة جيدة يمكن أن يضع الصراع فى منظور مختلف تمامًا. وتعتبر التجارة الثنائية المتنامية جزءًا من

رؤية يتعين على كلٍّ من الطرفين أن يسعى لتحقيقها، فلماذا نبحث عن مكاسب ضئيلة بأساليب صعبة المنال، فى حين أن السلام هو الطريق الأمثل للوصول إلى مكاسب أوفر كثيراً لنضع فى الاعتبار أن طبيعة الثروة تطورت بشكل جذرى على مدار القرن الماضى. لقد كانت الأرض فى يوم من الأيام هى التعريف الأولى للثروة والقوة، فحتى ما يزيد على قرن بقليل، كان على المواطن الأمريكى أن يكون ذكراً وأبيض ومن ملاك الأراضى حتى يحق له التصويت. واليوم أكثر الناس ثراء الواردة أسماؤهم فى قوائم مجلة فوربس أو مجلة فورشن لا يتم ذكرهم بسبب ملكية الأرض، وإنما ملكية الأسهم فى الشركات أو من الشىء المميز الذى نطلق عليه المال، والذى يتكون اليوم من أرقام مسجلة فى حسابات مفتوحة فى بنوك تقع فى المدن المزدحمة.

إننا لم نسمع كثيراً عن تطبيق هذا الأسلوب فى إنهاء الصراع والإرهاب والتطرف، وبشكل عام، فإن الناس يرغبون فى أن يتاجروا أو يبيعوا أصولاً مقابل أخرى؛ وهذا هو الأساس فى أى سوق. وعلاوة على ذلك، فإن الكثيرين يرغبون فى أن يبادلوا جزءاً من قوتهم مقابل حصولهم على الأصول التى يرغبون فيها (وعادة ما تكون هذه الأصول مالاً، ويمكن أن يقايض بأصول أخرى مرغوب فيها). وأحياناً ما يعطى الناس شخصاً آخر قدراً معيناً من التحكم فيهم، طالما أنهم قد تقاضوا مقابلاً كافياً (فى ذهنهم) للسلطة التى تنازلوا عنها، وهذا يعنى فى العلاقات التجارية والشخصية أن خدمات الناس وخضوعهم لرغباتك يمكن أن تُشترى فى مقابل الحصول على القدر الصحيح من أصول القوة، أو الأصول الاقتصادية.

حدود هذه المعادلة عندما لا يكفى أى قدر من المال والسلطة لانتهاك الحدود الأخلاقية، كما يحدث عندما نبيع أرواحنا مقابل ثلاثين قطعة من الفضة، كما جاء فى المثل المعروف. فبعد مرور ألفى عام من التضخم، ربما نتساءل: ما هى الانتهاكات الأخلاقية التى يمكن أن نسمح بها مقابل ثلاثين مليون دولار؟ هل ستخون المسيح فى حدائق جيسمان عدن مقابل ٣٠٠ مليون دولار أو ٣٠ مليار دولار؟ أم هل سترفض، كما فعل المسيح عيسى أن يكون رئيساً للعالم (أو القوة العظمى فى العالم) إذا كان الثمن الذى يدفع مقابل ذلك هو الاستقامة الروحانية؟ فمن المحتمل أنك مستعص على الإغراء بأى سعر. ولكن إذا استخدمنا هذا الجانب من الطبيعة البشرية (ويتحتمً

أن نكون من دارسى علم النفس البشرى) من أجل تحقيق الخير، فسوف يكون باستطاعتنا منح الناس مكافآت من أجل تعزيز صنع السلام والصداقة والمحبة، ويتكلف هذا قدر ما يتكلفه الإنفاق على الرؤوس النووية الموجهة تجاه بعضهما البعض على الحدود الباكستانية الهندية.

لذلك، فإن رؤيتنا الثاقبة للدور الذى تلعبه السلطة والاقتصاد فى حياة الأفراد لها تداعيات على سياستنا الخارجية، فعلى سبيل المثال، إذا ما سعينا للمساعدة فى تقدم العراق والخروج به من حقبة نظام صدام إلى مجتمع أكثر انفتاحًا، فإن توفير الأمن وتحسين الوضع الاقتصادى أمر أكثر إلحاحًا من إعطاء المواطن حق التصويت، وكما ذكرنا سابقًا، فإن وجود الديمقراطية بينما تفتقر المنازل إلى الأمن والكهرباء والمياه الجارية والغذاء، لا يعتبر خياراً مرغوبًا فيه عند معظم الناس مقارنة بمعيشة طيبة حتى لو فى ظل نظام أقل ديمقراطية.

ماذا يمكن أن يفعله الحوار بين الحضارات:

شن الحرب على الإرهاب

عندما يشرع صناع القرار والمفكرون فى الشرق الأوسط فى التفكير فى كيفية تحقيق الديمقراطية فى بلادهم، فإنهم سيواجهون تشكيلة محيرة من التحديات والقضايا الحرجة؛ وربما يجدون أيضًا أماكن قليلة يتلمسون فيها النصيحة الخالية من التحيز وجداول الأعمال الخفية.

وهناك نهج مثمر للعالم الإسلامى ـ وعلى وجه الخصوص فى الشرق الأوسط ـ هو برنامج مستمر للحوارات والندوات الفكرية والحوارية يهدف إلى الجمع بين قادة الرأى من البلاد الإسلامية فرادى مع العلماء ورؤساء المؤسسات الكبيرة وبعض القادة المنتخبين من الولايات المتحدة وغيرها من البلاد الغربية، ولأنها تعمل على تبادل المعلومات فى مجال بناء الأمة، فإن هذه الحوارات ستركز على التحدى الذى يكمن فى التوفيق بين مبادئ الرأسمالية الديمقراطية والثقافات الإسلامية؛ حيث ينظر لهذه المفاهيم أحيانًا على أنها غير إسلامية.

إن السجل العالمى الخاص ببناء الأمة ليس جيداً كما ينبغى، حيث المعرفة الفنية موجودة، ولكن نادراً ما يجتمع فريق السلام الأمثل للتركيز على القضايا التى تخص السياق المحلى.

على سبيل المثال، إذا طرح المرء سؤالاً بسيطًا يتعلق بكيفية تطوير الحكم الديمقراطى فى إيران والعراق والمملكة العربية السعودية، فإن الإجابة يمكن أن لا تكون «إن ما ينطبق على بلد واحد سينطبق على الجميع»، ولكن لا بد أن يتواءم هذا مع الواقع الموجود بكل بلد؛ ففى إيران، على سبيل المثال، توجد حركة ديمقراطية ناشئة، وما هم بحاجة إليه هناك هو تشجيع فصل أو توازن السلطات، وأن يركزوا بشكل أكبر على تطوير الأفكار الإسلامية الداعية لإقامة بنية اقتصادية صحية تهدف إلى بناء اقتصاد نابض بالحياة؛ أما فى العراق، فينبغى أن ينصب التركيز على الأمن والغذاء وفرص العمل والإسكان والخدمات الصحية، والبنية التحتية المادية مثل الطرق والاتصالات والخدمات التعليمية، وعلى بناء الشكل الخارجى للاقتصاد الفعال، ومن ثم يأتى تحقيق الديمقراطية الكاملة فى المرتبة الثانية؛ أما فى المملكة العربية السعودية، فإن النموذج البريطانى لنظام المجلسين التشريعيين لتقاسم السلطة بين مجلس النواب ومجلس العموم ربما يكون فكرة جديرة بالمناقشة مع الأسرة الحاكمة، والتماثل هنا يكمن فى أن مجلس النواب يتمثل فى بيت آل سعود من جهة، وتشكل العشيرة شبيه مجلس العموم من جهة أخرى.

وكل هذه مجرد أفكار لتوضيح أن تنفيذ هذه المسيرة لا يمكن أن يكون مجرد أخذ رخصة الامتياز الأمريكى وغرسها بمكان آخر، فحتى شركة ماكدونالد قامت بإضافة عادات وأذواق محلية فى منافذ بيع الهامبورجر التابعة لها، فعلى سبيل المثال، يوجد فى فروعها بالسعودية أماكن مخصصة للأسر وأخرى للأشخاص بمفردهم.

ويصبح دور الولايات المتحدة بمثابة المحفز والمؤيد للحفز على إقامة شكل جديد وبناء للمناقشات الحكومية البناءة فى العالم الإسلامى ورعاية ذلك، وتستطيع أمريكا بدورها أن تزود العالم الإسلامى بمسارح آمنة ومحايدة وغير منحازة يمكن أن تناقش فيها مثل هذه القضايا، وإقامة منتدى جديد يستطيع من خلاله كبار القادة الدينيين والعلمانيين المختلفين ومن مستويات عالية أن يناقشوا هذه القضايا وما يتعلق بها فى

جو تسوده عقلانية الحوار البناء، يمكن أن تلعب دوراً قيما فى رفع مستوى الحوار الذى يدور حول تحديات الديمقراطية وما تعد به فى العالم الإسلامى، وكذلك حول الدين فى الغرب.

ويمكن أن تتم دعوة عدد من المؤسسات الأمريكية التى لها شأن كبير مثل مؤسسة أسبين ومؤسسة شوتوكوا ومؤسسة وقف كارنيجى للسلام، ومعهد الولايات المتحدة للسلام، والمؤسسات الكبيرة مثل كارنيجى وروكيفيلر، إلى جانب تشكيلة من الجامعات والكليات للمشاركة فى استضافة سلسلة من الندوات الثنائية التى يستمر كلٌّ منها خمسة أيام، وتجمع مجموعة صغيرة تتكون من عشرين أو ثلاثين قائداً للتركيز على القضايا الملحة التى تخص دولة إسلامية معينة. ويمكن أن تجمع ندوة من هذه الندوات الفقهاء والسلطات القانونية للقيام مع العلماء المسلمين بمناقشة فكرة النظام القضائى المستقل، والقضايا التى تتعلق بالدين والدولة داخل دولة معينة. وفى ندوة أخرى، يمكن ترتيب اجتماع ليس للنشر حول بناء هذه الأمم بين ممثلى الكونجرس الأمريكى والزعماء السياسيين البارزين الذين يمثلون دولة إسلامية معينة.

وبناء المؤسسات نقطة تركيز مهمة فى هذه المناقشات الثنائية. إن تصميم مؤسسات للنظام الرأسمالى الديمقراطى يتماشى على وجه الخصوص مع الثقافة الإسلامية، ونظراً لأننا فى أمريكا نعتبر أمراً مسلمًا به وجود المؤسسات الرئيسية التى يعتمد عليها نظامنا الديمقراطى، فإننا غالبًا ما نتغاضى عن حقيقة أن الكثير من مثل هذه المؤسسات ليس له وجود فى الدول النامية، فالبعض من هذه المؤسسات مؤسسات خاصة، فى حين أن البعض الآخر يعتبر أنظمة مدنية واجتماعية تدعم وتؤيد أداء المجتمع الحر.

هذا وسوف تتضمن القائمة الجزئية لمثل هذه المؤسسات الديمقراطية قوات الشرطة المدنية، ونظام الضرائب العادل (والفاعل)، والنظام الاقتصادى للسوق الحرة إلى جانب شبكات الأمان الاجتماعية، وحكم القانون والنظام القضائى المستقل، وقوانين مكافحة الاحتكار، وذلك من أجل تعزيز الشفافية والحماية من الاحتكار، وإقامة أسواق رأسمالية، وأنظمة تعليمية وأنظمة للمدارس، ووسائل للإعلام الإخبارية الحرة، وأنظمة للحماية البيئية، وتوفير الحماية للأقليات. ولقد حاول الغرب محاولات زرع هذه المؤسسات فى الدول النامية مرات لا حصر لها فى الماضى، ولكن

الغرب قد قام بذلك عادة بطريقة ساذجة ومتحكمة تفترض أن النموذج الغربى يلائم كل الثقافات، ولكن ذلك قلما حدث. النتيجة كانت مخيبة للآمال ومعدلاً مخجلاً للفشل فى عملية بناء المؤسسة، بالإضافة إلى الإذلال المتزايد للمسلمين.

وكمثال على النهج الحساس إزاء الثقافة، فإن القرآن يقدم رؤى ثاقبة للنزعات البشرية التى أدت إلى أزمة بيئية يواجهها عالم اليوم، وحماية البيئة فى العالم الإسلامى من الأشياء المنصوص عليها فى التعاليم الإسلامية، كما أنها منصوص عليها فى العلم الحديث، ولكن يتحتم على مثل هذه الجهود أن تتلاءم مع الحاجة المحلية للرفاهية الاقتصادية، وبالمثل، فإن التعاليم الإسلامية التى تدعو إلى نظام اقتصادى عادل وقانون يقضى بعدم تلويث بيئتنا أو تدمير مواردنا (بما فيها الأشجار) يمكن أن توجه لدعم هذه الأهداف.

وهناك شكل آخر من أشكال الحوار الديمقراطى وهو تبادل الزيارات بين مواطنى الدول، وفيه توجه الدعوة إلى مجموعة كبيرة من المواطنين البارزين فى شتى مجالات الحياة ـ ربما يصل عددهم إلى مائة فى المرة الواحدة ـ لزيارة الولايات المتحدة للالتقاء بمجموعة مناظرة من الأمريكيين لإجراء مناقشات عن الثقافة وأسلوب الحياة ورفع مستوى معيشة الأسرة والحياة بشكل عام فى أمريكا والشرق الأوسط، وفى زيارة متبادلة يسافر مواطنون أمريكيون إلى دول الزائرين لتكرار هذه العملية، يتبع هذا النهج النموذج الناجح لمؤسسة شوتوكوا فى تبادل زيارات المواطنين مع الاتحاد السوفييتى فى الثمانينيات، ومن المحتمل أن توجه الدعوة إلى منظمة المدن الشقيقة لتكون شريكا آخر فى مثل هذا المشروع، ويمكن أن يتم الإعلان عن هذه الزيارات المتبادلة وإذاعة الاجتماعات التى تعقد بالمدن فى وسائل إعلام الشرق الأوسط، كالجزيرة على سبيل المثال، كطريقة لتعزيز الحوار والفكر الجديد.

وتحاول المنظمات غير الحكومية الأمريكية والأجنبية القيام ببعض ذلك بالفعل، ولكن مشاركة حكومة الولايات المتحدة بدورها كجزء من مبادرة السياسة الأجنبية للولايات المتحدة التى تتسم بالاستنارة والتحديد الدقيق سوف تعظم من فاعلية هذه الجهود، مثلما تفعل مشاركة من القادة المسلمين الأمريكيين.

ماذا يمكن أن يفعله كل إمام أمريكى

مبادرة قرطبة

كرست حياتى بعد مأساة الحادى عشر من سبتمبر للمساهمة فى إعادة العافية إلى العلاقة بين أمريكا والعالم الإسلامى، وكان ذلك يعنى جدول مواعيد مكثفًا للمحاضرات فى المساجد والكنيسات والكنائس، واللقاءات التلفزيونية والإذاعية والصحفية، والرحلات من أجل التحدث فى اجتماعات حوار الأديان أو المؤتمرات من كل نوع التى تعقد فى العديد من القارات. كما هدانى التزامى هذا إلى تأليف هذا الكتاب.

ويعرض هذا الكتاب فلسفة وأهداف الهيئة غير الهادفة للربح التى شاركت فى تأسيسها: مبادرة قرطبة، والتى جاء اسمها من الفترة بين عام ٨٠٠ وعام ١٢٠٠م، عندما كان خليفة قرطبة يحكم كثيراً ما يعرف اليوم بإسپانيا، وهذا الاسم يذكرنا بأن المسلمين قد أقاموا فى هذه الحقبة من التاريخ أكثر المجتمعات استنارة وتسامحًا وتعددية على وجه الأرض.

ومن خلال مشاركة المنظمات الإسلامية والمسيحية واليهودية، بالإضافة إلى المؤسسات المدنية، فإن مبادرة قرطبة تبنى تحالفًا واسعًا متعدد الديانات من أجل المساعدة فى إصلاح ما فسد فى العلاقات الإسلامية الأمريكية على مدى الخمسين عامًا الماضية. وتدعو المبادرة المسلمين الأمريكيين للقيام بدور قيادى فى الوساطة بين أمريكا والعالم الإسلامى. وتنص هذه المبادرة على عقد برامج ثقافية وتعليمية ومناقشات

دولية ليست للنشر بين القادة ، ومبادرات التواصل ، بل ومحادثات جادة لحوار الأديان تهدف جميعها إلى تحقيق التفاهم والسلام فى الداخل والخارج على حد سواء ، ويعتبر هذا الكتاب إحياء لـ «روح قرطبة» .

ماذا يمكن أن يفعله حوار الأديان؟

مساعدتنا فى أن يرى الله كلا منا فى الآخر

إن الدين يتعلق بربط البشرية بالله ، ولم يكن المقصود منه أبدًا إثارة العنف والعداوة بين الشعوب ، فهو بمثابة المزيل للحجب التى تمنعنا من كسب المعرفة بالحقيقة الوحيدة الصادقة ، والشعائر الدينية التى نمارسها تقاس بمدى تحقيق هذا الهدف بنجاح ، وهى تفقد قيمتها إذا ما فشلت فى الدعوة إلى حب الله . وعندما تتعالى أصواتنا للإقرار بوحدانية الله ووحدانية الجنس البشرى ، فإن ديننا يحقق عندئذ غايته .

لقد ذكرت آنفًا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد تحدث فى القرآن عن الصالحين والطالحين من أهل الكتاب ومن أتباع النبى محمد ﷺ أيضًا[١٢] ، والمسلمون يؤمنون بأن البشرية ستقسم يوم القيامة إلى فريقين ، هما : الذين يحظون برضا الله ، والذين يستحقون سخطه ، ومن ثم فمن المتوقع أن نجد نصارى ويهودًا ومسلمين من بين الفريقين ؛ إما أن يكونوا من أهل رضى الله (الجنة) وإما أن يكونوا من أهل سخط الله (النار) .

والروحانية هى أن نتعلم أن نرى الأمور بعينى الله ، وإذا تعلمنا ذلك فسوف نجد من بين المسيحيين واليهود والمسلمين من ينبعث منهم ريح الجنة ويتجلى رضا الله عنهم ، وسنجد من بينهم أناسًا قد تعدوا الحدود الدينية ، ونستدل منهم على سخط الله ، وهم من يشكلون الفريق المقابل[١٣] .

ونصل من خلال هذه الرؤية الثاقبة البسيطة إلى الاستنتاج الذى يتحدى كثيرين من المسلمين : أنه من بين الذين يؤمنون بالديانات الأخرى من يشتركون معنا فى نفس القدر المحتوم عند الله[١٤] ؛ لذلك فإن حوار الأديان يجعلنا نتشارك فى المحورين الخاصين بأعظم وصيتين ؛ المحور الرأسى وهو اكتشاف الأساليب المختلفة التى يفهم

بها الناس بعضهم البعض ويعبدون الله من خلالها؛ والمحور الأفقى ويتضمن تطوير التحالفات بين الصالحين عبر دائرة الطيف الدينية كلها من أجل العمل سويّا نحو إصلاح المجتمع، وإذا ما اتفقنا على مبدأ أن حب الله يتطلب حب البشر، فإن الحوار بين الأطراف الذين ينتمون إلى عقائد مختلفة سيتضمن العمل مع شركاء على جانبى خط الانقسام الدينى، يرون رضا الله عن بعضهما البعض، ويتضمن ذلك تذكيرنا بالتبريرات العلمانية والعقائدية لرؤية عالمية أصيلة ومقنعة للسلام الذى يقوم على التقاليد والنصوص المقدسة.

وحركة حوار الأديان العالمية حركة جوهرية تمامًا فى هذه الأيام وفى هذا العصر. ومن أكثر الأهداف أهمية أن نوضح للعامة أن الأديان ليست السبب الرئيسى للصراع. وفى حوار **الأديان وبناء السلام**، أصر الحبر آرثر شناير ـ والذى عقد أربع قمم دينية حول السلام والسماحة فى يوغسلافيا السابقة ـ على أن «الدين فى عهدنا لا يمثل سببًا للصراع، رغم أنه يستخدم عادة مبررًا له، فالدين لسوء الحظ غالبًا ما يكون أكثر الاختلافات وضوحًا بين الجماعات المتنازعة، ونتيجة لذلك، فإنه دائمًا ما يتم إلقاء اللوم عليه على أنه سبب الصراعات، وقد أصبحت الأمور الخطيرة أنه عند اندلاع الصراعات، نسمع أصواتًا قوية ترجع الصراع إلى سببه الرئيسى وتجعل الدين بمنأى عنه، بالإضافة إلى تعزيز روح التسامح والفهم». إنه لمن السخرية بالدين وتوجيهات الله للبشر أن نرتكب أعمالاً فيها قسوة أو وحشية أو غير إنسانية باسم الله، وأضاف شناير بأن الجريمة التى ترتكب باسم الدين تعتبر من أكبر الجرائم التى ترتكب فى حق الدين[١٥]؛ فمن الأهمية بمكان أن يصبح الصليب والهلال ونجمة داود رموزًا للسلام والتسامح والاحترام المتبادل.

لقد كان هناك حوار وتفاعل بين أصحاب الديانات المختلفة عبر التاريخ، حتى أثناء الحملة الصليبية، عندما شن المسيحيون الحرب على المسلمين، وفى الوقت الذى يعتقد فيه الكثيرون أن هناك صراعًا حضاريّا بين الغرب والعالم الإسلامى، يتحتم على اليهود والمسيحيين والمسلمين أن يفندوا هذا المعتقد الخاطئ وذلك عن طريق التحاور، وأن يثبتوا على معتقدهم بأن الله أوحى حكمته وحقائقه لكل مجتمع فى العالم. وحقيقة أن المسلمين يعتقدون بموجب إيمانهم أن كل أمة قد أرسل إليها رسولها ونبيها من قبل الرب نفسه، وأن النبى محمدًا ﷺ نفسه قد تحاور مع من كانوا يسعون

للقضاء عليه وعلى رسالته؛ وتعنى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد كلف المسلمين بتوصيل رسالته لأصحاب الديانات الأخرى وأن يجادلوهم ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد أوضحت التجربة التاريخية قيمة وتكامل الحوار بين أنصار الديانات المختلفة، وأصحاب المعتقدات المتعارضة فيما يتعلق بالعديد من القضايا ذات الأهمية العامة، وقد تتوافر التبريرات العلمانية والعقائدية لتلك الاستنتاجات التى استخلصها الخبراء الذين ينتمون لطائفة من المعتقدات، من تعاليم التقاليد والنصوص المقدسة. إن العمل معًا من أجل بناء إدراك إنسانى راق لوجود الله بين البشر يوضح أن العمل الذى سنقوم به يجب أن يحدد بين الجاليات الدينية المعنية من جهة، وأن يعين ما نريده من بعضنا البعض من جهة أخرى.

فى البداية، يتحتم علينا أن نتعلم أن نرى أنفسنا فى علاقتنا مع الآخرين، سواء كانت هذه العلاقة دينية أو دنيوية، وذلك من أجل تحقيق أهدافنا العامة المشتركة، فعند الحوار لا بد أن نراعى قاعدتين رئيسيتين، كلاّ منهما بسيطة وبعيدة المدى؛ أولاهما: مقارنة المتماثل بالمتماثل [أى النصوص الدينية بالنصوص الدينية، أو ممارسات المتدينين بممارسات المتدينيين]، والثانية، السماح لكل طرف أن يعرف نفسه للآخرين.

فعلى الرغم من أن القاعدة الأولى واضحة، إلا أنها قد تم انتهاكها عندما حاول المدافعون عن ديننا أن يقارنوا بين معتقداتهم فى شكلها المثالى وبين الصيغ الحقيقية أو السيئة لأديان الآخرين، فعلى سبيل المثال، فى الوقت الذى يعتقد فيه الكثيرون من المسيحيين أن دينهم هو دين الحب والسلام، فإن اليهود والمسلمين قد شاهدوا وجه «الإرهاب المسيحى» على مر القرون.

وتقضى القاعدة الثانية بأن نسمح للآخرين أن يحددوا من هم وما هى مشاعرهم تجاه الآخرين، وأن يتجنبوا النظر إلى دين الآخرين بطريقة تعزز على نحو زائف قيمنا وتقدمنا. ومن ثم، ينبغى على المسلمين ـ على سبيل المثال ـ أن لا يرسموا صورة تمت أسلمتها، أو صورة كاريكاتيرية للديانة اليهودية، والمسيحية، والهندوسية، بل يلتفتون قليلاً إلى كيف يرى الآخرون إيمانهم وعقائدهم. كذلك ينبغى أن لا يكون المسلمون حساسين تجاه نظرة أصحاب الديانات الأخرى إليهم، وعلى وجه الخصوص، فإن

المسلمين فى حاجة إلى أن يشرحوا بأسلوب مقنع ما السبب وراء العمليات الإرهابية التى ترتكب باسم الإسلام إذا كان الإسلام دين السلام.

وعلى المسلمين أن يوضحوا الأمور التالية:

١ـ علاقتهم الخاصة بالمسيحيين واليهود، وماذا يعنى هذا بالنسبة لأتباع التعاليم الإبراهيمية.

٢ـ أن التشدد الدينى لا يوجد فى المجتمعات المسلمة فقط، وأنه سيتم الحد منه إذا ما تم التصدى للقضايا السياسية التى تؤججه.

لا شك أنه إذا تم حوار بين الأديان بشكل بناء، فسيكون له أثر قوى فى كشف الحقيقة الأساسية، وهى أن جميع البشر يشتركون فى أشياء كثيرة على المستوى الروحانى العميق. حيث إن نفس الإله خلقنا جميعًا، وعندما نتعلم كبشر كيف نتوصل للقيم البشرية والروحية الأساسية التى نشترك فيها جميعًا وكيف نتطابق معها وننطلق منها فربما نتجاوز بذلك خلافاتنا السطحية، ونتعلم كيف نقبل التنوع العقائدى والثقافى الذى يقوى رباط الأسرة الإنسانية. إن الحوار بين الأديان يستطيع على مر الزمن أن يقضى على مفهوم «الآخر» ويحل محله إدراك أعمق لحقيقة أننا جميعًا إخوة وأخوات.

وقد تزايد المسلمون المتشككون الذين يتساءلون: لماذا نضيع الوقت فى الحوار؟ وماذا يقصد بالحوار؟ وما هى النتيجة المترتبة عليه؟ ونظرا لأننى قضيت بضعة عقود فى حوار الأديان، ولأننى من النازعين للشك إلى حد ما وأدرك حقيقة أنه عمل يتسم بالصعوبة، فإننى أرغب فى أن أختم هذا الفصل بعرض المقترحات التالية حول كيف يمكن أن يسهم حوار الأديان فى تحسين أحوال البشر[١٦].

إن الحوار بين رجال الدين، وما بينهم من اختلافات، يفتح قلوبنا لبعضنا البعض كبشر، ويكشف عن وجه الشبه بيننا وبينهم، بل ويعمق البحث عن الحقيقة الخالدة، وهذا لأن الله يستطيع (وهذا ما يحدث غالبًا) أن يتحدث إلينا من خلال الآخر، فنحن نتعلم شيئًا ما عما هو مقدس ممن يختلفون عنا، ونكتسب الفهم العميق عن متطلبات الدين الذى نعتنقه، ومن خلال ذلك، نعترف بأن الآخرين ربما يكون لديهم شىء من الحقيقة[١٧].

إن الحوار بين الأديان يمنحنا فرصة كشف الأرضية المشتركة للقيم والأهداف المشتركة بيننا التى تكمن فى دين كل منا، حتى ولو حددنا الخلافات الحقيقية؛ بينما يتيح الحوار داخل الدين الواحد لأتباعه فرصة أن تنتابهم الدهشة بسبب الخلافات الحقيقية التى تنجم من العقيدة والشعائر المشتركة (العبادة القويمة والتطبيق القيم)[١٨]، كما أن الحوار يصوغ الروابط الشخصية والعلاقات التى تنبنى على الثقة والتى تنطوى على إمكانية تعزيز نسيج اجتماعى أكبر، وإتاحة الفرصة للجهود التعاونية، حيث تتداخل الاهتمامات والأولويات.

وعندما يلتزم المتحدثون باسم الدين بمخاطبة العامة عن السلام، فإنهم بذلك يسهمون فى فهم وبناء المفهوم العالمى للصالح العام. فالأديان التى نعتنقها تعتبر مصادر فريدة لكل من القيم العامة ـ مثل الرأفة والعدل ـ والطاقة الأخلاقية والقوة المطلوبين لممارسة هذه القيم فى حياتنا اليومية. إن التحدث كرجال الدين أمام العامة يستلزم مواجهة تحديات حقيقة وأحيانًا مواجهة مخاطر، ومع ذلك فإنه بالتغلب على كل تحد يواجهنا، نحقق بذلك مساهمة ملحوظة، ومن بين هذه التحديات ما يلى:

* أن نجعل لغتنا وصورنا الدينية شيئًا له معنى وواضحًا خارج سياقنا الدينى. فمعظم المتحدثين باسم الدين لم يدربوا على التحدث إلى من هم خارج حدودهم.

* أن نتوخى الحذر فى الطريقة التى نعرض بها قناعاتنا، مدركين أننا أصوات من بين العديد من الأصوات على الساحة الدولية. ففى الوقت الذى يتحتم علينا أن لا نخجل من الإعلان على الملأ للمبررات الدينية التى تقوم عليها بياناتنا وتوصياتنا السياسية لأنه فى المجتمعات المفتوحة، تتزايد الثقة والفهم العام أن بالانفتاح والوضوح فيما يتعلق بالعقيدة ومنابع السلطة الكامنة وراء مواقفنا.

* أن نلتزم بأسلوب التواصل والتواجد سويّا، وهو الأسلوب الذى يؤكد على بشرية كل الحاضرين، والحوار بين الأديان صيغة دولية للحوار، يجسد فهمنا لما تتوقعه تعاليم الدين الذى نعتنقه من الناس فى المجتمع، ويعزز فرصة التعلم والتمحيص والفهم. والحوار يتطلب منا أن نأتى إلى هذه المحادثة بنية صادقة حتى نَفهم ونُفهم، وبالاستعداد لأن نستمع إلى الآراء المختلفة دون أن نطالب الآخرين باتباع رأينا.

* أن نتفق على الطريقة التى نختلف بها ، وأن نحدد المبادئ العقائدية للخلاف فى الوقت الذى نحترم فيه إنسانية كل المشاركين فى الحوار، حيث إننا حين نؤكد شرعية منتديات الحوار ندعم ونشجع ثماره، والتى أثرت فى الماضى تراثنا الجماعى كبشر.

* أن نبحث عن أرضية مشتركة، فالحوار ليس فى حقيقة الأمر جدالاً وليس نقاشًا يفضى بالضرورة إلى حل لب النزاع. فالحوار يبحث عن نقاط التوافق، ويتطلب أن نصغى إلى الآخرين، وأن نؤجل الحاجة إلى الدفاع أو رد الفعل، وأن نستمع إلى نقاط التواصل، كما يوضح الحوار أن سوء الفهم يمكن أن يكون فرصة للتعلم بدلاً من أن يكون مناسبة للهجوم.

* أن نلتزم الاحترام فى الحديث والسلوك، وأن ننتبه إلى الأثر الذى تتركه اللغة التى نستخدمها، وكيف يفهمها الآخرون، وأن نتسم بالأمانة فيما تتركه لغة الآخرين من أثر علينا، ويتطلب الحوار فضائل يجب أن تتعزز فى معاملاتنا الاجتماعية العالمية الحالية، كما يتطلب أيضًا الالتزام بما يقصده الناس فعلاً عندما يتحدثون، وليس ما يفكر فيه المستمع على أنه مقصود. ويتطلب الحوار إخراج الفرضيات غير المختبرة والتصورات المسبقة علانية وأن تتوفر الإرادة لطرح أسئلة حقيقية والإجابة عليها.

وبالنظر فيما وراء الحدود القريبة للخلافات الثقافية والعداوات التاريخية، نجد قادة روحانيين ينتمون إلى أعظم الديانات فى العالم قد منحوا نعمة، أن توافرت لهم فرصة فريدة لإعمال كل من حكمتهم ونفوذهم لمواجهة التحديات اليومية، وأن يورثوا لأجيال المستقبل منظورًا معولمًا ينبع فى الأصل من تراثنا الدينى والروحانى الجماعى.

وأعتقد بأنه ليس هناك فى القرن الحادى والعشرين هدف أسمى من:

● التبشير بالحقبة التى تنبأ بها النبى إشعياء فى العهد القديم بقوله: «فيقضى بين الأمم ويحكم بين الشعرب الكثيرة فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل. ولا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد» [إشعياء: ٢: ٤].

● وبث موعظة يسوع التى أرشد بها تلاميذه فى العهد الجديد قائلاً لهم: «طوبى لصانعى السلام، فإنهم سيدعون (أبناء الله)» [متى: ٥: ٩].

● وحض الناس على الامتثال بالأوامر والنواهى الإلهية التى جاء بها القرآن الكريم من: إقامة العدل والإحسان وصلةالأرحام، وقمع الظلم والنهى عن الفحشاء والمنكر.

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠] ـ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)**﴾ [الحجرات: ١٣].

***

خاتمة

التماس السعادة

يريد العالم أن يتشبه بأمريكا. إن القيم التى تلفظ بها توماس جيفرسون ببلاغة ـ الحياة، الحرية، والتماس السعادة ـ لتدوى بشدة فى شتى أنحاء العالم متجاوزة الفروق السطحية والثقافية، ولا يرجع السبب فى هذا إلى أنها قيم أمريكية، بل لأنها قيم عالمية مطمورة فى فؤاد الإنسان. وهذا هو السبب فى أن الأمريكيين عادة ما يعاملون بدفء واحترام حتى فى البلاد التى لا تعتبر حكوماتها صديقة للولايات المتحدة.

ومع هذا، فقد أصبح العداء تجاه الولايات المتحدة فى كثير من مناطق العالم اليوم هو القاعدة وليس الاستثناء. حيث تقف الولايات المتحدة فى مفترق طرق تاريخى فى ظل عالم ملىء بالتهديدات ـ بعضها حقيقى والآخر متخيل، يؤدى أحد هذه الطرق إلى السير فى اتجاه العمل من جانب واحد بعناد. ويمر هذا الطريق عبر حقول الخوف ـ ففيه توضع الحرب على الإرهاب فوق جميع الشئون الاجتماعية والروحية والإنسانية الأخرى، وهذا الطريق يترك الولايات المتحدة وحيدة محاصرة فى عالم يشك فيها ولا يشعر بالود نحوها. وبالمضى فيه، تسعى أمريكا إلى النوم بالليل وهى مسلحة تسليحًا ثقيلاً وعلى حذر دائم.

أما الطريق الآخر، فهو مختلف تمام الاختلاف. فهو يرتقى فوق نجاد الثقة والإيمان، يأخذنا إلى مكان تمثل فيه أمريكا دور الموقف العظيم ـ بدلاً من دور رجل الشرطة العظيم ـ بين الدول التى تشكل الأسرة العالمية، إن هذا لهو طريق التعاون والتعددية والحوار وبناء الصداقة. وبالسير فى هذا الطريق، تنام أمريكا جيدًا؛ لأنها كثيرة الأصدقاء قليلة الأعداء. إن هذا لهو طريق الأمل.

يجب على الأمريكيين أن يتخلصوا من التعجرف غير اللائق الذى يقودنا للقول بأن أمريكا تحتكر نوعى الخير والصدق، وهو اعتقاد يجعل البعض لا يرى العالم سوى مسرح تؤدى عليه مسرحية درامية تاريخية عظيمة هى: الولايات المتحدة الأمريكية ضد قوى الشر.

إن لغة الخير مقابل الشر هى بالضبط لغة الأصوليين الذين نعارض آراءهم عن العالم. فبمجرد أن نصف من يعارضوننا بالشر، نفقد الأساس الأخلاقى العالى ونبدأ فى الهبوط فى منحدر أخلاقى زلق للغاية. لقد تعلمنا من الصوفية أنه يجب علينا أولاً أن نحارب وندمر ما بأنفسنا من شر بأن نجعل ما بداخلنا من خير يعلو عليه، ثم نتعلم محاربة الشر لدى الآخرين بمساعدة ذواتهم العليا للسيطرة على ذواتهم الدنيا. أما محاربة شر الآخرين بالرد عليهم عينًا وبسلوك عدوانى عنيف مماثل فهو استخفاف بكل أخلاق الأديان الإبراهيمية؛ كما أنه أيضًا انتهاك لاتفاقيات جينيف والقانون الدولى والأمم المتحدة والرأى العام العالمى، وحتى وثيقة الحقوق الخاصة بنا. وإذا كنا نعتقد حقّا أن الله فى جانبنا ـ بدلاً من التيقن من أننا فى جنب الله ـ فإننا نهوى فى وهم لا نرى أن هناك حدودًا ـ وهذا هو الوهم الذى استهوى قلب كل متطرف.

إن للولايات المتحدة قدرًا أعظم من أن ينظر إليها على أنها تلميذ متنمر بزملائه فى حوش المدرسة فى القرن الحادى والعشرين، فنحن نملك دعوة روحية أسمى من الأحادية الأنانية، لقد كانت الولايات المتحدة على مدار تاريخها منارة الأمل للكثيرين فى شتى أنحاء العالم. حيث لم يدع دورها كحارس وجالب للأمل مجالاً للشك حول إيجابيات أمريكا. وهذا التراث هو السبب الذى يجعل العالم يريد أن يتشبه بنا؛ وهذا هو الدور الحق والحسن الذى ينبغى دائمًا أن نطمح إليه حتى لو كان الطريق شاقّا، وكان سوء التفاهم الذى يبعدنا عن الثقافات الأخرى عميقًا.

إننا نملك أداتين قويتين لرأب الصدع الذى يفصل الولايات المتحدة عن العالم الإسلامى وهما: الإيمان فى الخير الفطرى للإنسانية والثقة فى قوة الإخلاص، والحوار الذى نستطيع به أن نتغلب على الخلافات الموجودة بيننا وبين إخواننا فى البشرية، فقد علمتنا كافة الأديان الإبراهيمية هذا الإيمان وهذه الثقة، حيث إنهما يوضحان ملة إبراهيم ـ الموجودة فى جوهر إعلان الاستقلال الأمريكى، وأمريكا تحتاج أن تستند عليهما أكثر، كما يفعل رفقاؤنا على مسرح التاريخ.

هناك قدر كبير من التماثل بين إيجابيات أمريكا وإيجابيات الإسلام، فعلى أعلى المستويات، تعكس الرؤية العالمية لكلٍّ منهما إقراراً مستنيراً بأن جميع البشر لهم خالق واحد ـ أى أننا إخوة وأخوات حقّا، فعندما كتبت إيما لازاروس عام ١٨٨٣ الكلمات التى تحتفى فيها بالسيدة الجميلة التى تقف بثبات على ميناء نيويورك، لم تكن تصور دولة إمبراطورية انعزالية تركن فقط إلى السعى وراء رؤيتها الأحادية للعالم، بل كان فى مخيلتها دولة تستند على نحو واثق على قواعد الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، التى كان يحلم بها جيفرسون وآدامز وفرانكلين وغيرهم من الآباء والأمهات العظام لهذه الأمة. إن السيدة العظيمة الواقفة فى الميناء ترمز إلى حلم الإنسانية ـ هذا الحلم الغنى بالأمل والمثالية لعالم المقهورين.

ليس كالعملاق النحاسى اللون ذى الشهرة الإغريقية
تمتد خطواته الغازية من أرض إلى أرض
هنا ستقف عند أبوابنا التى تغسلها مياه البحر، و تغرب عندها الشمس
امرأة جبارة تحمل مشعلاً، لهيبه
هو الرعد السجين، واسمها هو
أم المهاجرين، و من يدها المنارة التى ترشد الحائرين
ينبعث الترحيب العالمى
وتسيطر عيناها اللطيفتان
على الميناء ذى الكوبرى المعلق الذى يربط بين إطار المدن.
صرخت بشفاه صامتة «احتفظى، يا أيتها البلد القديم،
ببهائك الذى يحكى عنه!، أعطنى جماهيرك المتعبة، الفقيرة،
المحتشدة التى تتوق لتتنفس هواء خاليًا
من النفايات القذرة الموجودة على شاطئك المكتظ.
أرسلى لى هؤلاء المشردين المزعجين.
لقد تركت مصباحى بجانب الباب الذهبى!».

إن حمل مصباح الحرية والأمل والصداقة عاليًا هو أعظم هدية تقدمها أمريكا للعالم، كما أنها مسؤوليتها المقدسة.

بينما كنت مبحرًا إلى نيويورك فى صباح يوم الأربعاء، الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩٦٥، على متن السفينة الإيطالية إس إس ماركونى، نظرت إلى تمثال الحرية وتساءلت ماذا تخبئ لى أمريكا، ثم أدركت بعد قليل أن اكتشاف ثراء عقيدتى سيكون على هذه الأرض، فمثلى مثل الكثيرين من المهاجرين من البلاد الإسلامية، اكتشفت إسلامى فى أمريكا.

لذلك فأنا تراودنى أمنية، تشاركنى فيها قراءتى لآيات الذكر الحكيم ـ القرآن ـ عن جميع الأديان ـ بما فيها اليهودية والمسيحية ـ وهى ذات الأمنية التى تراود جميع من شاركوا فى حوار الأديان على مر العصور، أتمنى أن تنهل البشرية من فيض العقائد الروحية الغنى المشبع ـ فيض المبادئ الإلهية الثابتة التى اتخذت شكلاً مختلفًا بعدة طرق فى المجتمعات الإنسانية. يجب أن يصبح الدين أكبر من مجرد عادة أو عرف، أكبر من نمط زائل وموضة ثقافية للعصور المنقضية؛ يجب أن يكون الدين ـ الذى يخاطب ما هو خالد بداخلنا ـ أساسًا لمجتمع قوى متناغم ومبدأ محركًا للحياة كلها.

تعبر القصيدة التالية للشيخ محى الدين بن عربى ـ الذى يعتبره البعض الشيخ الأكبر ـ عن جوهر هذه الضالة المنشودة، حيث يصف فيها التحول من دين مبنى على ما هو زائل إلى دين قائم على ما هو باق، ويحرك فينا الأمل حين يخبرنا بأن البشرية ربما تمر بمثل هذا التغيير:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى ... إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلا كل صوره ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توهجت ... ركائبه فالحب دينى وإيمانى

شكر وعرفان

نحن نكتب معظم الكتب، ولكن هناك كتب أخرى مثل هذا الكتاب، تكتب نفسها من خلالنا، نشعر بالامتنان لما نلناه من عظيم الشرف، إن هذا النوع من الكتب له عقل خاص به يقرر متى سيظهر نفسه، ومن سيشارك فيه، ومتى وكيف وإلى أية غاية يهدف، وينطق هذا الكتاب بشكره لكل الذين ساهموا فى وضعه.

فى البداية، أتقدم بخالص الشكر إلى الكثيرين الذين شجعونى لتأليف هذا الكتاب. وقد كانت جين فريدمان فريدة فى نوعها، فبعدما سيطر عليها الإحباط لعدم وجود تقدم فى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط عرضت ما يلى «سأستقيل من منصبى إذا ما ساهم ذلك فى حدوث ذلك التقدم». وإلى جانب المساعدة الحاسمة لكلير القوتلى، التى عملت بلا هوادة كمساعد للتحرير أثناء الكتابة، ساعدنى وكيلى الأدبى چوى هاريس فى وضع العرض الذى سمح للكتاب أن يعرض قضيته للناشر ستيف هانسيلمان من دار هارپر سان فرانسيسكو، والذى شهد لهذا الكتاب بأنه «سيسهم فى سد فجوة فى عالم الكتب». شكرًا شكرًا شكرًا!

كما أتقدم بخالص الشكر لمحرر دار هارپر الموهوب للغاية، إيريك براندت، والذى قام بأسلوب هادئ ولكن بطريقة مقنعة بتطبيق العملية الكيميائية التى حولت ذرات الكتاب التى تشبه الجرافيت إلى الشكل الماسى الذى طالما بحثنا عنه، وأتقدم بالشكر أيضًا للمحررة الموهوبة المساعدة له، بريسيلا ستكى، التى عرضت بمهارة الماسة حتى ينعكس بريقها على نحو متواصل فى عين القارئ، وشكرًا لروجر فريت، الذى أكسبت مقترحاته هذا الكتاب مذاقًا طيبًا أكثر مما كان يتصور، وشكرًا لكبير المحررين الإداريين، تيرى ليونارد، لسعة صدرها لاحتواء تطلع المؤلف للحصول على «الكتاب الكامل» مع الحفاظ على الجدول المحدد لإنتاجه، وهذا الكتاب يشهد بأن كل هؤلاء محترفون على أعلى مستوى، ولن أستطيع أن أوفيهم حقهم.

وخالص الشكر والتقدير إلى طلابى من المصلين لصبرهم على غيابى، ولدعمهم ودعائهم لى، وأتقدم بشكر خاص إلى بهروز كارجورافارى، وناز أحمد، وفايز خان

لنيابتهم عنى، وأخص بالذكر فارزان سليم لرفعه من أداء جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بى، قلم وصفحة المؤلف الحديث، وأتقدم بالشكر لسميرة هوزيك لمساعدتها الجاهدة لى فى استعادة عمل أسبوع تسبب الكمبيوتر الخاص بى فى اختفائه فى شبكات الكمبيوتر المرتبطة ببعضها البعض.

كما أتقدم بالشكر لجون كيسر وجون برون كامبيل المبجل وإيدجر برونفمان والحبر جاك بومبوراد والبروفيسور على أسانى والدكتور فاروق خان وعمر أمانات وجوليا جيتكوف لمقترحاتهم القيمة واهتماماتهم الشخصية المفعمة بالحماس برسالة هذا الكتاب.

كما أتقدم بخالص الشكر لزوجتى، دايزى خان، لما يعلمه الأزواج فقط فيما يخص شعور الزوج «عندما لا يجد رباط حذائه»، فقد رأت طوال عملية إعداد هذا الكتاب أنه قد استنفد كل ما بى من طاقة، بل وصبرت صبر أيوب على اختفاء مائدة الطعام التى تبلغ مساحتها ثلاثين قدمًا مربعًا، بل واختفاء باقى أرضية حجرة الطعام تحت ركام من الكتب على مساحة قدمين، وخالص الشكر لأمى، والتى أكدت أن غياب حجرة الطعام لم يمنع من تقديم الغذاء لى بسخاء أثناء المرحلة الأخيرة من إنهاء الكتاب، ولكنها كانت تقوم بدور هام فى تغذيتى بحبها ودعائها وبركاتها طوال حياتها.

وأتقدم بعميق الشكر لجون إس بينت، الذى شارك فى تأسيس مبادرة قرطبة التى قدمت برنامج عمل لإعادة العافية إلى العلاقة بين العالم الإسلامى والغرب، فالله وحده لديه كنوز فيها من العمق والتنوع ما يكفى لشكره على جهوده المضنية فى إعمال أفكار المبادرة فى إعداد هذا الكتاب.

فخالص الشكر والامتنان لكل من سبق ذكره، كما أننى أعلن براءتهم من أى من أخطائى وآرائى، ولنيل رضا الله وتقبله لهذا العمل سأدافع عنهم وعن نفسى وعلى وجه الخصوص والدى، وأستاذى العظيم الدكتور محمد عبد الرءوف، وباقى أسلافى الروحانيين وأساتذتى ومن قاموا بتوجيهى ومنهم الشيخ موزافر أوزاك، فبفضل تعليمهم الجماعى وكونهم مثلاً يحتذى به وتوجيههم الروحانى وتربيتهم الروحانية وبركاتهم وصلت إلى ما أنا فيه.

Notes
الهوامش

FOREWORD - التقديم

1. Wilfred Cantwell Smith, *Islam in Modern History* (Princeton: Princeton University Press, 1957), 305.

PREFACE - التمهيد

1. A popular saying goes as follows:
   He who knows, and knows that he knows, is a sage; follow him.
   He who knows, and knows not that he knows, is asleep; awaken him.
   He who knows not, and knows that he knows not, is ignorant; teach him.
   He who knows not, and knows not that he knows not, is dangerous; run away from him.
2. Charles Kimball, *When Religion Becomes Evil* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 2002).

INTRODUCTION - المقدمة

1. To read the full report, log on to http://www.people-press.org (accessed January 23, 2004).
2. Some argue that this arose less as a reaction to religion per se and more in response to the dominant American Protestant (primarily Baptist and Methodist) views of religion, which often dominated other religions—particularly, at that time, Catholicism and Judaism. Some feared that the power possessed by this WASP establishment to promote its values in realms outside of religion, especially in science and education, was subtly curtailing freedom of thought. See Michael Ariens and Robert Destro, *Religious Liberty in a Pluralistic Society*, 2nd ed. (Durham, NC: Carolina Academic Press, 2002).
3. These ideals are all Islamic ones, but what the West achieved was *institutionalizing* these ideals through social safety nets such as Social Security, unemployment insurance, welfare benefits, and so forth.

CHAPTER ONE - الفصل الأول

1. Will Herberg, *Protestant, Catholic, Jew: An Essay in American Religious Sociology* (Chicago: Univ. of Chicago Press, 1960), 40.
2. This debate between human free will and predestination spilled over into a robust debate between the Prophet Muhammad and his skeptical contemporaries, who argued that God had determined them to be disbelievers, and they were therefore merely reflecting the divine will. See Feisal Abdul Raut, *Islam, a Search for Meaning* (Costa Mesa, CA: Mazda Publishers, 1995), 53ff.

3. This in fact constitutes the core ideas of all divinely revealed religion, but we shall limit our focus in this book to the three known as the Abrahamic religions.

4. An important note to the non-Muslim reader: when a Muslim says, "The Quran states," it is taken to be equal to "God states" and therefore is part of a Muslim's belief.

5. The expression "the nature of God" (*fitrat allah*) holds two meanings: "God's nature" as well as "the nature that God made," upon which God created humanity (that is, God created humanity in the divine image). See Rauf, *Islam: A Search for Meaning.*

6. This idea is the basis of one of the great pieces of Islamic literature, the story of Hayy Ibn Yaqzan (literally, the Alive Son of the Aware), authored by Ibn Tufayl, who lived in Spain in the twelfth century. Hayy, raised by himself on a tropical island, comes to the realization of God on his own as the result of his own thinking process. In a sense his story recapitulates the Abrahamic search for God. See *Ibn Tufayl's Hayy Ibn Yaqzan: A Philosophical Tale,* trans. Lenn Evan Goodman (New York: Twayne Publishers, 1972).

7. The jinn (from which the English word *genie* comes) are beings created, according to the Quran, from smokeless fire, as humans are from clay and angels from light. They are capable of salvation or punishment like humans.

8. Quoted from Rabbi Jack Bemporad, "The Pontifical Biblical Document, The Jewish People and the Sacred Scriptures in the New Testament: A Jewish Perspective," *Bulletin Centro Pro Unione,* no. 63 (Spring 2003): 3–7.

9. "A woman got separated from her child and when she found it again, she pressed the child to her chest and breastfed it. The Prophet asked his companions, 'Could you imagine this woman throwing her child into the fire?' We said, 'No, by God! She could not bear to do such a thing!' The Prophet replied, 'Indeed, God is more merciful to his servants than this mother to her child'"; Muslim, *Sahih,* "Kitab al-Tawbah," chapter titled "The Extent of Allah's Mercy Is Wider Than His Wrath," hadith no. 4947.

10. This is the universal definition of the word *Islam.* Anyone who believes in the oneness of God and submits to a relationship to the one God as creature to Creator is thereby Muslim.

11. The story of Hargar's discovery of the well of Zanzamis mentioned in Genesis 21:19 of the Bible.

12. Bukhari, *Kitab al-Iman,* hadith no. 12.

13. The term used is *shara'a,* meaning "to ordain," thus implying that the fundamental religious laws established by the Prophet Muhammad are in keeping with the laws of Moses and Jesus, all of which flow out of the Abrahamic ethic.

CHAPTER TWO ـ الفصل الثانى

1. One reason Muslims view themselves as having a special kinship with Jews and Christians is that they believe Muhammad is the Gentile (another interpretation of the word *unlettered*) Prophet, foretold in both the Old and New Testaments. John 1:19–21 speaks of Jews sending priests and Levites from Jerusalem to interrogate Jesus: "Who art thou?" (John 1:19) They kept probing: "Art thou Elias? . . . Art thou *that Prophet?*" (John 1:21, see also 1:25). Muslims believe the expression *that Prophet* is a New Testament reference to the Old Testament mention of the expected Prophet Muhammad. That Old Testament reference has Moses declaring, "The Lord thy God will raise up unto thee a Prophet from the midst of thee, of thy brethren, like unto me; unto him ye shall hearken. . . . I will raise them up a Prophet from among their brethren, like unto thee, and will put my words in his mouth; and he shall speak unto them all that I shall command him" (Deuteronomy

18:15, 18). Whereas Muslims regard Jesus as the Messiah, Muslims regard Muhammad as *that prophet* "like unto Moses," for Muhammad came with new legislation and did not teach except what he was taught by God.

2. As translated by the American master calligrapher Muhammad Zakariya. See http://www.zakariya.net (accessed February 5, 2004).

3. Muslim, *Sahih,* vol. 1, hadith no. 1.

4. Muslim, *Sahih,* "Kitab al-Iman," hadith no. 9.

5. In Judaism, the emphasis is on orthopraxy, and there is much greater flexibility in one's specific beliefs. A Jew may or may not believe, for instance, in a heaven or a hell, an afterlife, or a day of judgment, yet if he or she observes the Sabbath, the rules of circumcision, the Jewish holidays, and so forth, he or she is generally considered to be an observant Jew. In the Christian faith, the emphasis is on orthodoxy: as long as one believes that Jesus Christ is the savior, one is generally accepted as a Christian. Muslims are doubly bound, having both an orthodoxy, which must be believed in, and an orthopraxy, which must be practiced, if one is to be deemed an observant and practicing Muslim.

6. The story of Mary is beautifully told in the Quran 19:17ff., where God states that Jesus was conceived without a human father. Muslims therefore believe in the virgin birth of Jesus.

7. Quran 16:36 asserts, "And certainly We raised in every nation a messenger, saying: Serve God and shun the devil."

8. This verse differentiates between those who outwardly practice religion without any inner content of faith and belief, which defines one way the term *muslim* has been used, from the *mu'min,* believers whose inner spirituality is alive and whose ethics fulfill the Prophet's teaching that "no one is a believer (*mu'min*) until he loves for his brother what he loves for himself." What is noteworthy is that in addressing the Prophet's followers, the Quran always uses the phrasing *ya ayyuha-lladhina amanu* ("O you believers" or "O you who have believed"), never *ya ayyuha-lladhina aslamu* ("O you Muslims" or "O you who have submitted"). This almost suggests that the Quran is a book addressed more to believers (*mu'mins*) and less to those merely concerned with calling themselves by the label *muslim*—that is, to those concerned with the substance and reality of authentic faith rather than with the nomenclature and outer expressions of faith.

9. This is verse 2:255 of the Quran. It reads: "God! There is no god but He, the Live, the Self-Subsisting. Slumber and sleep do not touch Him. Who shall intercede with Him except by His Permission? Knowing what is before and behind them [that is, all of humanity], while they [humanity] do not embrace a jot of His knowledge except by His choice. His Throne [that is, power and dominion] extends [all through] the heavens and earth; and sustaining them tires Him not. And He is the Exalted, the Mighty." According to hadiths of the Prophet, reciting this verse protects the individual from evil.

10. The idea in Western universities of a "chair" of philosophy, for example, came from this image of the master seated on a chair, lecturing to his group of students.

11. For more on this, see Maurice Bucaille, *The Bible, the Qur'an, and Science* (Indianapolis: American Trust Publications, 1978).

12. Muslim, *Sahih,* hadith no. 6251.

13. In a hadith, the Prophet Muhammad indicated that (on Judgment Day), "You shall certainly see your Lord as you see this full moon, without any doubt"; Muslim, *Sahih,* "Kitab Mawaqit al-Salah," hadith no. 521.

14. Muslim 4937, also Tirmidhi 2376, Ibn Majah 4229, Ahmad Ibn Hanbal 16949.
15. Bukhari, *Sahih*, "Kitab al-Riquq," Bab al-Tawadu', hadith no. 6021.
16. *The Mathnawi of Jalaluddin Rumi*, trans. Reynold A. Nicholson (n.p.: Luzac, 1972), 5.
17. This hadith is not referenced in the standard Hadith sources.
18. Genesis 1:26–27. This is also in the Hadith: Bukhari 5759, Muslim 5075, Ibn Hanbal 7021.
19. *Mathnawi*, trans. Nicholson, bk. 2, p. 316, vv. 1852, 1853.
20. This is based on the Quranic verse 57:4: *wa huwa ma'akum ayna ma kuntum*, "He is with you wherever you are." This is in contrast to the philosophers who spent their time debating "*wujud* [reality of existence] versus *mahiyya* [quiddity]."
21. Shaikh Wali Raslan, *Risala fi't-Tawhid*, trans. Muhtar Holland as *Concerning the Affirmation of Divine Oneness* (Hollywood, FL: Al-Baz, 1997), 50ff.
22. John Kiser, *The Monks of Tibhirine: Faith, Love, and Terror in Algeria* (New York: St. Martin's Press, 2002), 9.
23. Quoted in *Ghazali: Deliverance from Error*, trans. R. J. McCarthy (Louisville, KY: Fons Vitae, 1999), 9, 12, originally published as *Freedom and Fulfillment* (Boston: Twayne, 1980).
24. Abd al-Ghafir al-Khatib, quoted in *Ghazali*, trans. McCarthy, 15–17, 75.
25. *Ghazali*, trans. McCarthy, 46.
26. Vincenzo M. Poggi, S.J., cited in *Ghazali*, trans. McCarthy, 332.
27. Margaret Smith, *Al-Ghazali the Mystic*, quoted in *Ghazali*, trans. McCarthy, 40.
28. *Ghazali*, trans. McCarthy, 38.
29. Poggi, quoted in McCarthy, 42.
30. *Ghazali*, trans. McCarthy, 43, 69.
31. The word *lahn* can also mean "barbarism."
32. *Ghazali*, trans. McCarthy, 78.

CHAPTER THREE الفصل الثالث ـ

1. William Sloane Coffin, *A Passion for the Possible: A Message to U.S. Churches* (Louisville, KY: Westminster/John Knox Press, 1993), 3, 2.
2. Muhammad 'Abd al-Hadi Abu Ridah, quoted in Philip K. Hitti, *Makers of Arab History* (New York: St. Martin's Press, 1968), 191.
3. Muhammad Asad, *The Principles of State and Government in Islam* (Gibraltar: Dar al-Andalus, 1980), vi.
4. In discussing the Declaration of Independence and Constitution, I have drawn on Roger Pilon, preface to *The Declaration of Independence and the Constitution of the United States of America* (Washington, DC: Cato Institute, 1998).
5. Asad, *Principles of State*, 96.
6. "The Farmer Refuted" (1775), *American State Papers*, 123, quoted in F. Forrester Church, *The American Creed* (New York: St. Martin's Press, 2002), 32.
7. Thomas Jefferson, letter to John Hambden Pleassants, April 19, 1824, quoted in Church, *American Creed*, 33.
8. See Will Herberg, *Protestant, Catholic, Jew: An Essay in American Religious Sociology* (Chicago: Univ. of Chicago Press, 1960), 6–82.
9. Perry Miller, "The Location of American Religious Freedom," in *Religion and Freedom of Thought* (New York: Doubleday, 1954), 21.

10. Asad, *Principles of State*, 1.

11. Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, *I'lam al-Muwaqqi'in 'an Rabb al-'alamin* (Cairo, n.d.), 3:1.

12. This incident is referred to in the Quran, chap. 48.

13. "Obedience to God and to the Messenger" is a command that appears about a dozen times in the Quran and is commonly heard among Muslims. See, for instance, Quran 3:32, 3:132, 4:59, 5:92.

14. Quoted in Martin Lings, *Muhammad: His Life Based on the Earliest Sources* (New York: Inner Traditions International, 1983), 344.

15. Ibn al-Nadim, Fihrist, 280, and Ibn Qutaybah, Imamah, II, 156, quoted in Subhi Mahmassani, *Falsafat al-Tashri' fi al-Islam: The Philosophy of Jurisprudence in Islam*, trans. Farhat Ziadeh (Leiden: E. J. Brill, 1961), 25.

16. From Pilon, preface to *Declaration of Independence*.

17. See http://www.cdi.org/budget/2004/world-military-spending.cfm (accessed January 22, 2004).

18. An example of removal of separation of powers was what happened in 1997 when Pakistani prime minister Nawaz Sharif eliminated the independence of the judiciary.

19. *Microsoft Encyclopedia Encarta 98* (electronic resource) (Redmond, WA: Microsoft, 1997), s.v. "Federal Reserve System."

20. Although a number are state supported, such as PBS, C-Span, and Voice of America.

21. Fareed Zakaria, *The Future of Freedom: Illiberal Democracy at Home and Abroad* (New York: Norton, 2003), 17.

22. Church, *American Creed*.

23. For example, the disputes that occurred in the caliphate of al-Ma'mun as to whether the Quran was created or uncreated or whether performing the prayer with one's hands crossed on one's chest or hanging by one's sides was better—categories of issues on which Muslims may maintain diverging opinions.

24. For example, in the United States we often add a clause to an interstate contract that might say, "This contract shall be in accordance with New York State law." Two parties to a contract may agree to say, "This contract shall be governed by Hanafi law," even in a country like Saudi Arabia, where the law is Hanbali law.

25. Murray T. Titus, "Islam and the Kingdom of God," in *The MacDonald Presentation Volume* (1933; Freeport, NY: Books for Libraries Press, 1968), 395–96.

26. Antonin Scalia, "God's Justice and Ours," article adapted from remarks given at a conference sponsored by the Pew Forum on Religion and Public Life at the University of Chicago Divinity School, *First Things: Journal of Religion and Public Life* 123 (May 2002): 17–21, available at http://www.firstthings.com (accessed January 12, 2004).

27. Hadith in Ibn Majah, 3940.

28. Ahmad Ibn Hanbal, 21020.

29. Tirmidhi, 2092.

30. Asad, *Principles of State*, 39.

31. Church, *American Creed*, 139, italics mine.

32. Some add a fourth, namely, law of nations, dealing with what we would call international law. It was from this later development in Islamic law that the terminology of *dar al-Islam* ("house of Islam") and *dar al-harb* ("house of war") came about, and which some have misinterpreted to mean that Muslims are to be at war with those not

Muslims. Note also that the marriage contract falls under the law of transactions, since it is regarded as a contract between husband and wife.

CHAPTER FOUR - الفصل الرابع

1. Wilfred Cantwell Smith, *The Meaning and End of Religion* (New York: Mentor Books, 1962).
2. Smith, *Meaning and End of Religion,* 103.
3. Smith, *Meaning and End of Religion,* 337.
4. Smith, *Meaning and End of Religion,* 103.
5. Smith, *Meaning and End of Religion,* 105.
6. Smith, *Meaning and End of Religion,* 12.
7. The Quran calls Jesus the Messiah, son of Mary; see Quran 3:45, 4:171–72, 5:17, 5:72–75. The Quran refers to Christians as "Nazarenes."
8. Wilfred Cantwell Smith, *Questions of Religious Truth* (New York: Scribner, 1967), 102–3.
9. Konrad Lorenz, *On Aggression* (New York: Bantam, 1971), x.
10. Mu'awiyah later established the Umayyad Dynasty, which lasted from 661 to 750 CE.
11. Richard Dawkins, *The Selfish Gene* (New York: Oxford Univ. Press, 1976), 3.
12. Dawkins, *The Selfish Gene,* 201, italics mine.
13. The real-life situation is more complex, and many other behavioral strategies exist that altogether work against each other, but the broad point remains valid, namely, that cooperation provides a greater payoff.
14. Ashutosh Varshney, *Ethnic Conflict and Civic Life: Hindus and Muslims in India* (New Haven, CT: Yale Univ. Press, 2002).
15. Varshney, *Ethnic Conflict,* 6.
16. 'Ayni, *'Umdat,* XXII, 83.
17. Bukhari, *Sahih,* hadith no. 1.
18. Mark Juergensmeyer, *Terror in the Mind of God* (Berkeley and Los Angeles: Univ. of California Press, 2000), 102, 104.
19. Juergensmeyer, *Terror,* 105–6, 112–16.
20. Quoted in Mariana Caplan, *Halfway Up the Mountain: The Error of Premature Claims to Enlightenment* (Prescott, AZ: Hohm Press, 1999), 401.
21. Juergensmeyer, *Terror,* 113.
22. Juergensmeyer, *Terror,* 114.
23. *The Mystical Teachings of al-Shadhili,* trans. from the Arabic of Ibn al-Sabbagh's *Durrat al-Asrar wa Tuhfat al-Abrar* by Elmer H. Douglas (New York: State Univ. of New York Press, 1993), 113–14.
24. See Robert Bellah et al., *The Good Society* (New York: Knopf, 1992).
25. Benjamin Barber, *Jihad vs. McWorld* (New York: Ballantine Books, 2001), xiv.
26. Barber, *Jihad vs. McWorld,* xiii.
27. Ahmad Ibn Hanbal, 18074; see also Ibn Majah, 4002, and Nasa'i, 4138.
28. See the appendix, Qaradawi's fatwa on the permissibility of U.S. Muslim military personnel to participate in the Afghan war.
29. *Sahih al-Bukhari,* 984.
30. *Sahih al-Bukhari,* 182.
31. Abu Daud, *Sunan,* vol. 2, p. 98.

32. *Al-Bukhari,* hadiths 2683 and 6012.

33. See Feisal Abdul Rauf, *Islam, a Sacred Law: What Every Muslim Should Know About the Shari'ah* (Battleboro, VT: Qiblah Books, 2000), 54.

34. This is analogous to variations in state laws within the United States.

35. Note the link to the values in the original phrasing of the Declaration of Independence: "life, liberty and property," later changed to "life, liberty, and the pursuit of happiness."

36. Emile Durkheim, *Suicide* (New York: Free Press, 1951).

37. Durkheim, *Suicide,* 16.

38. Durkheim, *Suicide,* 15.

39. Durkheim, *Suicide,* 14.

40. Durkheim, *Suicide,* 15–17.

41. Durkheim, *Suicide,* 298.

42. Durkheim, *Suicide,* 299–300.

43. Robert A. Pape, op-ed article, *New York Times,* September 22, 2003.

44. Note that the use of the term *Islam* here is not in the religious sense as a theology but as an identity tag of a society, a collective consciousness of a people who identify as such, the collective psychology that emanates from its history, and all that contributes to its sense of self.

45. Some of these principles are a two-state solution, withdrawal by Israel to pre-1967 borders, removal of illegal settlements, or a combination of return, resettlement, and compensation for Palestinian refugees.

46. Caryle Murphy, *Passion for Islam* (New York: Scribner, 2002), 75, 159.

47. Murphy, *Passion for Islam,* 310,

48. For more information on RAND Corporation reports, log on to http://www.rand.org.

49. Barber, *Jihad vs. McWorld,* xxv.

50. Pew Charitable Trust, "Views of a Changing World, 2003: War with Iraq Further Divides Global Publics," Pew Global Attitudes Project, available at http://people-press.org/reports/display.php3?ReportID=185 (accessed February 3, 2004).

51. Pew Charitable Trust, "Views of a Changing World, 2003."

52. Barber, *Jihad v. McWorld,* xvi–xvii, xv, xvii.

53. The *Lancet,* the journal of the British Medical Association, asserted on the basis of findings by a 1995 study team of the United Nations Food and Agriculture Organization that examined health and nutritional conditions in Iraq that since the end of the Gulf War, sanctions were responsible for the deaths of 567,000 Iraqi children; see Sarah Zaidi and Mary C. Smith-Fawzi, "Health of Baghdad's Children," *Lancet* 346, no. 8988 (December 2, 1995). A more recent and independent study by public health specialist Richard Garfield of Columbia University confirms that hundreds of thousands of children in Iraq have died prematurely and unnecessarily during this sanctions crisis. Garfield examined the studies that have been conducted on Iraq to date and found the numbers to be more like 106,000. For more information, see Richard Garfield, "Morbidity and Mortality Among Iraqi Children: Summary of General Findings," available as of January 15, 2004, at the Web site of the Fourth Freedom Forum: http://www.fourthfreedom.org.

54. Alan Cooperman, "Clergy Urge More Active White House Effort for Mideast Peace," *Washington Post,* December 2, 2003.

55. Edward Said, *Covering Islam* (New York: Vintage Books, 1997).
56. Said, *Covering Islam,* 172.
57. Said, *Covering Islam,* 173.
58. Edward Said, *The Edward Said Reader* (New York: Vintage Books, 2000), 174.
59. Economist friends advise me that Americans should be grateful to Muslim oil-producing countries for having continued to maintain the currency of oil in U.S. dollars. If they had decided to change it to the Euro or another currency, the impact on the U.S. dollar would have been disastrous.
60. Said, *Covering Islam,* 53.
61. An example of this in Africa was Nigeria, where more than two hundred different religious, tribal, and language groups were forced into a new nation-state identity called Nigeria. One by-product of this was the Nigerian-Biafran civil war (1967 to 1970).

CHAPTER FIVE ـ الفصل الخامس

1. This is well documented in Stephen Kinzer's *All the Shah's Men: An American Coup and the Roots of Middle East Terror* (Hoboken, NJ: John Wiley & Sons, 2003).
2. Ibn Khaldun, *The Muqaddimah: An Introduction to History,* translated from the Arabic by Franz (Princeton: Princeton Univ. Press, 1967), 5.
3. Wilfred Cantwell Smith, *Islam in Modern History* (Princeton: Princeton Univ. Press, 1957), chap. 1.
4. Smith, *Islam in Modern History,* 21.
5. Smith, *Islam in Modern History,* 23.
6. The difference between the Islamic and Jewish conception of history is that in Islam, history ought to be subordinated to revelation, which is final. Classical Hebrew thought put what it learned from history into its scripture. For the Old Testament, revelation is itself a long-term process. Otherwise the Jewish and Muslim attitudes to the historical process are similar.
7. A saying of the Caliph Ali bin Abu Talib, cousin of the Prophet Muhammad.
8. Islamic history in the Quranic sense begins with Adam and God's creation of the universe.
9. Karen Armstrong, *Islam: A Short History* (New York: Modern Library, 2000), 27.
10. Armstrong, *Islam,* 29.
11. Such as the split of the *ummah* into Sunni and Shiah and the establishment of dynastic rule over rule by merit.
12. Armstrong, *Islam,* 46.
13. We have witnessed several twentieth-century attempts to establish an Islamic society: in Saudi Arabia, Pakistan, Iran, Sudan; and in Turkey, Algeria, and Egypt by segments of the population. Malaysia, meanwhile, has focused on the ingredients of an Islamic state and in my judgment has progressed the most in this regard.
14. *Encyclopedia of Islam* (CD-ROM, Leiden: Brill, 1999), s.v. *"bayt al-hikmah."* See also s.v. *"dar al-hikmah"* and *"dar al-'ilm."*
15. Philip K. Hitti, *Makers of Arab History* (New York: St. Martin's Press, 1968), 85, 92.
16. Hitti, *Makers of Arab History,* 93.
17. Armstrong, *Islam,* 61–62, 65.
18. We have mentioned above Imam Malik's fatwa that a pledge of allegiance (*bay'ah*) obtained under duress was not valid, which resulted in his being whipped (see above, chap. 3).

19. The development of Islamic law, the Shariah, was therefore a powerful way for the Muslims to develop a rational and historical basis to found the believer's sense of sacred transcendence in spite of and in the face of corrupt rulers. It was at this time that the pursuit of collecting hadiths to internalize the archetypal figure of the Prophet was catalyzed. The caliphs countered by circulating forged hadiths to bolster their position in power. That Malik Ibn Anas (d. 795) called his school *ahl al-hadith* ("people of hadith") probably had political overtones, suggesting that they were following to a greater degree the footsteps of the Prophet than the *ahl ar-ra'y* ("people of opinion"), a name given to the followers of Abu Hanifa's school in Kufa. This may have been a dig at Abu Hanifa's position in favor of the *murji'a* doctrine, that it was better not to get involved in the complex finger pointing about which caliph was better than the other or who had a better claim to be caliph. (The term *murji'a* was based on Quranic verse 9:106, which mentions some of the Prophet's companions who did not join the Prophet in an expedition and for whom judgment would be deferred [*arja'a*] and thereby left up to God to decide.) *Murji'a* doctrine suggested that we'd better leave that judgment to God. The majority of the community continued to sympathize with the family of the Prophet rather than with the Umayyad and Abbasid rulers, who suppressed and dishonored them.

20. The Iranians are predominantly Shiite.

21. The debates on compulsory public education in the United States were about the need to educate the future citizens of the republic. The current American concern about the madrasas in Pakistan and Saudi Arabia is that they are educating a generation of passionately anti-Western Muslims.

22. Ibn Khallikan, *Wafayat al-a'yan wa anba' abna' al-zaman* (Obituaries of the Famous, and News of the Sons of the Time) (New Delhi, 1996).

23. "We have revealed it [this Book] as an Arabic Quran, so that you might understand" (12:2); see also Quran 20:113 and 39:28, which say it was sent in Arabic, explaining God's promises, and "without crookedness" so that we might acquire piety.

24. Iranian activists could not go to Saudi Arabia because the Wahhabis were anti-Shiah. (Ayatollah Khomeini, for example, took refuge in Iraq and then in France before leading the Iranian revolution of 1979.) The Arab revolt against Ottoman rule in the early part of the twentieth century left a distaste in Turkey, which may have added to Kemal Atatürk's turn to a rapid Europeanization of Turkey.

25. *Encyclopedia of Islam,* s.v. "Indonesia."

26. Their efforts in trying to rid the Sudan of British rule is depicted in the film *Khartoum,* which starred Charlton Heston as Charles "Chinese" Gordon and the late Sir Laurence Olivier as the Mahdi.

27. Caryle Murphy, *Passion for Islam* (New York: Scribner, 2002), 44–49. For a deeper study of Muhammad 'Abduh, see Charles C. Adams, *Islam and Modernism in Egypt* (London: Oxford Univ. Press, 1933), and Yvonne Y. Haddad, "Muhammad Abduh: Pioneer of Islamic Reform," in *Pioneers of Islamic Revival,* ed. Ali Rahnema (London: Zed Books, 1994).

28. See Muhammad Iqbal, *The Reconstruction of Religious Thought in Islam* (1934; repr., Lahore, Pakistan: Kazi Publications, 1999).

29. *New York Times Magazine,* April 20, 2003. See also Paul Berman, *Terror and Liberalism* (New York: Norton, 2003).

30. "Whoever forges a way by which to seek knowledge, God will forge for him or her a way through that knowledge toward paradise. The angels unfold their wings with

pleasure upon the seeker of knowledge. All in the heavens and in the earth—even the fish in the ocean—pray for his or her forgiveness. The excellence of the seeker of knowledge over the mere worshiper is like the full moon over all the stars. Indeed, the people of knowledge are heirs of the prophets. The prophets bequeath neither *dinar* nor *dirham* [figuratively, neither dollar nor penny] but bequeath knowledge; so whoever takes of it has taken hold of an abundant fortune"; Abu Dawd, *Sunan,* "Kitab al-'Ilm," Bab al-Haththu 'ala Talib al-'Ilm, hadith no. 3157.

31. "The believer who has power is better and more beloved to God than the believer who is weak—and both are good"; Muslim, *Sahih,* "Kitab al-Qadr," hadith no. 4816.

32. Max Weber, *The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism* (1930; repr., New York: Routledge, 2001), xiii.

33. I owe many of the ideas in this section to the excellent book by John Micklethwait and Adrian Wooldridge, *The Company: A Short History of a Revolutionary Idea* (New York: Modern Library, 2003).

34. Micklethwait and Wooldridge, *Company,* xv.

35. Micklethwait and Wooldridge, *Company,* 43.

36. Quoted in Micklethwait and Wooldridge, *Company,* 54.

37. Quoted in Micklethwait and Wooldridge, *Company,* 18; see also Stephen Innes's comments on 201.

38. Thomas A. Tweed, "Islam in America: From African Slaves to Malcolm X, " National Humanities Center, Chapel Hill, NC, available at www.nhc.rtp.nc.us/tserve/twenty/tkeyinfo/islam.htm (accessed February 4, 2004).

39. Tweed, "Islam in America."

40. *Microsoft Encarta Encyclopedia 98* (electronic resource) (Redmond, WA: Microsoft, 1997), s.v. "Affirmative Action."

41. C. Eric Lincoln, *The Black Muslims in America* (Boston: Beacon Press, 1961), iii.

42. Lincoln, *Black Muslims,* iv.

43. Louis E. Lomax, *The Negro Revolt* (New York: Harper & Row, 1962), 184.

44. Lomax, *Negro Revolt,* 190.

45. Armstrong, *Islam,* 16.

46. Alim Islamic Software, *Al-Tirmidhi,* hadith no. 4939.

47. Armstrong, *Islam,* 16.

48. At one of the most important milestones in Islamic history, known as the Treaty of Hudaybiyah, the Prophet Muhammad took his wife Umm Salama's advice on what to do. The Prophet led his followers to perform the pilgrimage in Mecca for the first time since they had fled to Medina. They stopped at a place called Hudaybiyah, about twenty miles from Mecca. After intense negotiations, Muhammad agreed that the Muslims would wait another year before making the pilgrimage to Mecca. The pilgrims were disappointed, their expectations dashed. They stood in a group staring in shock at the Prophet and didn't make a move even when he commanded them to sacrifice their animals and cut their hair (rites traditionally done at the end of the pilgrimage, and only within the sacred precincts of Mecca). Concerned that he would lose their support, Muhammad retreated to his tent, where Umm Salama had been watching the events transpire. He asked her advice. "Go forth," she said, "and say no word to any man until you have performed your sacrifice" (see Martin Lings, *Muhammad* [New York: Inner Traditions, 1983], 254). Seeing the Prophet perform the ritual act, the Muslims immediately raced to perform their sacrifices, thereby releasing the tension that had built up. As

Karen Armstrong notes, Umm Salama had evaluated the situation exactly (see Armstrong, *Muhammad: A Biography of the Prophet* [New York: HarperCollins, 1992], 222). Umm Salama recognized that the Prophet's followers would emulate his actions even more readily than his verbal instructions. The Prophet Muhammad succeeded here based on her advice.

49. Alim, Prophet's Last Sermon.

50. *Encyclopedia of Islam*, s.v. "Khadidja."

51. *Encyclopedia of Islam*, s.v. " 'A'isha Bint Abi Bakr."

52. American Muslims generally believe, rightly or wrongly, that the Patriot Act is primarily targeted against them.

53. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 142.

54. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 143.

55. Theodore Maynard, *The Story of American Catholicism* (New York: Macmillan, 1941), 285.

56. Thomas Sugrue, as expressed in Herberg, *Protestant, Catholic, Jew.*

57. In addition to educational institutions, there were Catholic hospitals, homes, and orphanages; Catholic charities and welfare agencies; Catholic Boy Scouts and War Veterans, Catholic associations of doctors, lawyers, teachers, students, and philosophers; Catholic leagues of policemen, firemen, and sanitary workers; and a Catholic Youth Organization. The immense system constitutes a self-contained Catholic world with its own complex interior economy and American Catholicism's resources of participation in the larger American economy; see Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 154.

58. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 149.

59. James Cardinal Gibbons, "The Church and the Republic," quoted in Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 150.

60. "The Catholic Church in American Democracy," press release of the National Catholic Welfare Conference, January 26, 1948.

61. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 152.

62. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 161.

63. The Jewish Reform movement was set in motion in America by Isaac Mayer Wise, who among his accomplishments compiled a new prayer book and order of service according to the American Custom (*Minhag America*). In 1873 he formed the Union of American Hebrew Congregations and in 1875 established a theological seminary, the Hebrew Union College in Cincinnati. In 1889 he launched a rabbinical association under the name of the Central Conference of American Rabbis.

64. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 177.

65. See Norman Bentwich, quoted in Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 202.

66. Oscar Handlin, quoted in Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 288.

67. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 191.

68. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 222.

69. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 198.

70. Herberg, *Protestant, Catholic, Jew*, 236.

71. Quoting the Beth Din Web site, http://www.bethdin.org/services.htm (accessed January 20, 2004).

72. Quoted in David Fromkin, *A Peace to End All Peace* (New York: Henry Holt, 1989), 257.

73. Fromkin, *Peace to End All Peace*, 258.

74. Fromkin, *Peace to End All Peace*, 259.

75. Quoted in Fromkin, *Peace to End All Peace*, 262.

76. Quoted in F. Forrester Church, *The American Creed* (New York: St. Martin's Press, 2002), 90.

77. Quoted in Church, *American Creed*, 92.

78. Church, *American Creed*, 91.

79. See Kinzer, *All the Shah's Men.*

80. *Microsoft Encarta Encyclopedia 98*, s.v. "Afghanistan."

81. John Micklethwait and Adrian Wooldridge, *A Future Perfect: The Essentials of Globalization* (New York: Crown Business, 2000), xix.

82. Francis Fukuyama, *The End of History and the Last Man* (New York: Perennial Reprint, 2002), xii.

83. Michael Novak, "The Most Religious Century," op-ed piece, *New York Times*, May 24, 1998.

84. Novak, "Most Religious Century."

CHAPTER SIX الفصل السادس ـ

1. In it he said,

   It should be clear to all that Islam, the faith of one-fifth of humanity, is consistent with democratic rule. Democratic progress is found in many predominantly Muslim countries: in Turkey, Indonesia and Senegal and Albania and Niger and Sierra Leone. Muslim men and women are good citizens of India and South Africa, the nations of Western Europe and of the United States of America. More than half of all Muslims live in freedom under democratically constituted governments. They succeed in democratic societies, not in spite of their faith, but because of it. A religion that demands individual moral accountability and encourages the encounter of the individual with God is fully compatible with the rights and responsibilities of self-government.

The text of Bush's speech is available at http://www.nytimes.com/2003/11/06/politics/06TEXT.BUSH.html.

2. Unlike in the United States, in many Muslim countries the government owns certain industries, like the oil, transportation, and communication industries. These industries need to be privatized and broken up, as has happened in America.

3. Anwar Sadat of Egypt, for example, was assassinated within a year of having himself proclaimed president for life.

4. "Mixing Growth with Islam," *Wall Street Journal*, November 7, 2003.

5. This problem is now being played out in France with the scuffle about headscarves in French schools. The best way to solve this is to create a win-win situation. My wife suggests, Why can't the French authorities ask their top designers, such as Cacherel, Hermes, Yves St. Laurent, and others, to design a headscarf for Muslim schoolgirls that addresses Islamic concerns and is in keeping with French aesthetics of haute couture? Headgear has always been a fashion item throughout human history; this can grow into a billion-dollar business, meaningfully contribute to a culturally French Islam, and be an economic boon.

6. Marc Gopin, *Holy War, Holy Peace* (New York: Oxford Univ. Press, 2002), 181–82.

7. One example of such a workable framework that might be implemented was provided by the Geneva Accord, negotiated between Yossi Beilin and Yasser Abed Rabbo, who were parties to previous negotiations between Israel and Palestine.

8. *New York Times*, "Top Evangelicals Critical of Colleagues Over Islam," Laurie Goodstein, May 8, 2003.

9. "China and India Move Closer, Seeing Trade Gains," *Wall Street Journal*, November 11, 2003.

10. "China and India."

11. Barely four weeks after I wrote this passage, the *Wall Street Journal* published an article under the headline "China Steps Up Diplomatic Role," by Jay Solomon, Charles Hutzler, and Zahid Hussein, with subtitles "Beijing Takes the Initiative with India and Pakistan" in pushing for a peace pact and "From Guns to Butter, Better China-India Ties . . . Could speed détente between South Asian rivals." The article is full of ideas that demonstrate, in effect, how to apply Varshney's insights on associational ties and Dawkins's insights on increasing the payoffs to avoiding violence that I have tried to highlight in building peace.

12. Quran 3:112–16. This teaching is similar to Jesus's parable of the weeds mentioned in Matthew 13:24–30.

13. The Quran points out, for example, that even "among your spouses and your children there are enemies to you" (Quran 64:14).

14. These points apply as well to adherents of other faiths.

15. Arthur Schneier, "Religion and Interfaith Conflict," chapter 7 of *Interfaith Dialogue and Peacebuilding*, ed. David Smock (Washington, DC: U.S. Institute of Peace Press, 2002), 112.

16. I am indebted to the following: Daniel Yankelovich, *The Magic of Dialogue* (New York: Simon & Schuster, 1999); Mary Jacksteit and Adrienne Kaufmann, *Finding Common Ground in the Abortion Conflict: A Reference Manual*, available from Search for Common Ground, http://www.sfcg.org, or the National Association for Community Mediation, http://www.nafcm.org.

17. I noted earlier that early Muslim history is replete with learning gained from the non-Arab communities among whom Muslims lived and that later Jewish scholars such as Maimonides and Ibn Paqoda applied principles learned from their Sufi Muslim contemporaries such as al-Ghazali.

18. For example, when I studied the field of Islamic law that categorizes the differing laws in the Islamic schools of jurisprudence and the reasoning that led each jurist to his opinion, classically called *'ilm al-khilaf* (literally, "knowledge of differences"), it gave me a deeper appreciation of the compelling reasons of each school, resulting in my being more tolerant and accepting of differing views within Islam.